الدكتور / مرعى مدكور

الإعلام الإسلامى

وخطر التدفق الإعلامى الدولى



القاهرة

الدكتور / مرعي مدكور
قسم الإعلام الإسلامي - جامعة الأزهر



الإعلام الإسلامي

وخطر التدفق الإعلامي الدولي



القاهرة

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة
٧ شارع السراى بالمنيل ت : ٩٨٧٩٢٤
حدائق حلوان - مدينة الهدى ت : ٦٨٨٠٧١

[يابُنى ؛ إن استطعت أن تمس وليس فى قلبك غش لأحد فافعل ، يا بنى فإن ذلك من سنتى ، فمن عمل بها فقد أحيانى ، ومن أحيانى كان معى فى الجنة]

من وصايا الرسول ﷺ - لأنس رضى الله عنه ..

بسم الله الرحمن الرحيم

« تقديـــم »

نحمدك اللهم ونستعينك ونستهديك ونستفتح بالذى هو خير ؛ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

وبعـــد ..

يتعرض عالمنا الإسلامى هذا الأيام لموجات متعددة من محاولات التشويه التى يشنها الغرب عبر وسائل اتصالية متعددة من صحافة (جرائد ومجلات) وإذاعات علنية وأخرى سرِّية ، وسينما ، وفيديو ، وأيضا - وهذا هو الأخطر - عبر التوابع الصناعية للاتصال حيث أصبحت الثقافة الأليكترونية القادمة من فضاء لا حدود له هى فى حقيقتها ثقافة وحرية الدول التى تملك التكنولوجيا .. وأصبح هذا التدفق الإعلامى الموجَّه ، والذى يلاحق المسلم فى عقر داره ويتوسل إليه بلغته - وبلهجته المحلية عند الضرورة - أصبح يمثل خطرا كبيرا يجب التنبه له والوقوف فى وجهه بتقديم البديل القائم على الحجة والبرهان ..

فليس من الحكمة فى شىء أن يقنع المسلمون بالبقاء فى مقاعد المستقبلين بالنسبة لمجال الاتصال ، والأخذ دون تمحيص بما يتدفق علينا من هذا الانفجار الإعلامى المخيف عبر الصحافة الدولية . أو الإذاعة بأنواعها من علنية وسرِّية ودينية أو ماتبثه وكالات الأنباء الكبرى التى فرضت سطوتها الإعلامية على العالم كله لدرجة أن بعض الدول لاتعرف عن جيرانها – أو عن أنفسها فى أحايين كثيرة – إلا عن طريق هذه الوكالات المهيمنة على سوق الاتصال .. ، هذا إلى جانب قوافل التنصير وموجات الاستشراق التى تتستر دائما تحت عباءة البحث العلمى ، والمحاولات التى لاتهدأ لفصل الدين الإسلامى عن أمور الحياة الدنيا بهدف سلب المسلمين قوتهم الذاتية المستمدة من الإسلام وصدق الاعتقاد وعدم الخضوع إلا لله سبحانه وتعالى ..

فأمتنا الإسلامية ؛ التى كرّمها الله بهذا الدين الحنيف ؛ مطالبة بالإعلام عن الإسلام ونشره عن طريق « البلاغ المبين » الذى يعطى القوة والاستبسال وتحمل الصعاب كافة من أجل نشر الدين ..

فالأمة الاسلامية عندما تمتلك الصوت الاعلامى القادر على مخاطبة العالم فى صدق وأمانة لخير هذا العالم ؛ ستكون – الأمة الإسلامية – قادرة وقتذاك على الإعلام عن دين الله وتوضيح موقف الإسلام من المواقف الحياتية كافة ، وفى الجانب الآخر

ستدحض التشويه المتعمد لصورة المسلم والتى تشيعها الوسائل الاتصالية العالمية ، وتصحيح الصورة لتظهر كما رسمها الإسلام : عدل ؛ وصدق ؛ وأمانة ؛ ووفاء ؛ وإنسانية ؛ وفى الوقت ذاته قوة فى الحق ، حتى ترتفع راية « لا إله إلا الله ؛ محمد رسول الله » .

فالكلمة فى الإسلام مسئولية كبرى ..

وعلى الله قصد السبيل ..

د / مرعى مدكــور
الهــرم فى سبتمبر ١٩٨٧

الفصل الأول:

تدفق إعلامى دولى غير متـوازن

أصبحت العلاقات الدولية هذه الأيام فى أمس الحاجة إلى طريقة مثلى فى التعامل، بحيث يكون الوضوح والصدق والموضوعية أساسا راسخا للاتصال والإعلام كما هو الحال فى الإعلام الإسلامى ..

وقد برزت هذه الحاجة إثر الهزة العنيفة التى أفقدت الثقة – داخليا وخارجيا – فى مصداقية الاعلام الأمريكى بعد تكشف أسرار صفقة الأسلحة الأمريكية للنظام الإيرانى ، رغم إعلان الولايات المتحدة المتكرر مناهضتها – ما أسمته – الإرهاب نتيجة للمارسات الإيرانية ، حيث اتضح أن الإعلام الأمريكى ما هو إلا دعاية تحركها اتجاهات وأهداف غير معلنة ..

فإعلام أكبر دولة فى صناعة الاتصال يقول غير ما يبطنه أصحاب القرار !!

.. فقد أوضحت جوانب الأزمة أن العلاقات الدولية – فى أغلبها – تنتهج السياسة المكيافيللية ؛ حيث الغاية تبرر الوسيلة ؛ وأن المهارة والمعرفة والأخذ بأساليب التكنولوجيا الحديثة فى الاتصال لم تعد كافية للمساهمة فى جعل العالم قرية عالمية Global Village كما كان يتوقع عالم الاتصال الكندى مارشال ماك لوهان Marchal Mcluhan ، فالوسائل الاتصالية ذاتها (صحافة وإذاعة « راديو وتليفزيون » وأقمار صناعية وغيرها) أصبحت مجرد تكنولوجيا تكرس نفسها للتعبير عن

اتجاهات ومصالح سياسية متطابقة Identical من التحالفات المتممة Complementary أو العقائدية Ideological وغيرها[١] وأصبحت - الوسائل الاتصالية - تعبر بطريقة أو بأخرى عن هذه المصالح بسلاحين خطيرين هما : الكتمان والصمت ؛ أو التشويه والخداع والكذب والمبالغة[٢] .

.. من هنا بدأ البحث عن القيم كعنصر مفقود فى العملية الاتصالية حتى تُعير الرسالة الإعلامية عن محتواها - وبصراحة تامة - للجمهور الموجهة إليه ، واتجهت أنظار العاملين فى المجال الإعلامى إلى إعادة دراسة الاتصال الإسلامى بوجه عام منذ أن بدأ الرسول ﷺ ينشر دعوته عندما أمره الله بذلك فى قوله ﴿ ياأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر ﴾[٣] حيث إن هذا الاتصال الإسلامى منذ بدايته يقوم على أسس ثابتة مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، كما أنه واضح الأهداف والمقاصد لبناء الإنسان على هدى الإسلام وتوصيل كلمة الحق إلى الناس أجمعين ، وكل ذلك فى إطار من القيم الأخلاقية والمبادئ والمثل العليا[٤] ..

.. أزمة كبيرة من عدم الثقة تهدد الاتصال هذه الأيام ؛ رغم التقدم التكنولوجى المذهل فى صناعة الوسائل الاتصالية .. والسبب انهيار مصداقية هذه الوسائل ، والتى تتكشف جرائمها واحدة وراء أخرى ، مما جعل البعض يبحث

عن مخرج لذلك ، إلا أن هناك مكابرة فى بحث أسس الاتصال وفق المعايير الإسلامية، إذ كيف يتم ذلك وهناك قوى متعددة تحاول جاهدة تشويه صورة الإسلام وإبعاده عن الحياة العامة !!

.. فى الوقت الذى تتبارى فيه وسائل الاتصال العالمية بشكل عام – وفى أمريكا بشكل خاص – على اختلاق الصور الشائنة وإلصاقها بالعربى المسلم ؛ تتكشف الحقائق عن انعدام المصداقية Credibility لمحتوى ماتنقله هذه الوسائل حتى وإن كان – هذا المحتوى – صادرا عن جهة رسمية هى البيت الأبيض والرئيس الأمريكى نفسه ..

وإذا كانت قضية « ووترجيت » التى أسقطت الرئيس الأمريكى نيكسون قد أظهرت الصحافة هناك فى صورة من الحرية الكاملة عندما استطاعت كاترين جراهام رئيسة تحرير صحيفة « الواشنطن بوست » قيادة الفريق الذى كشف أسرار الفضيحة التى أطاحت بريتشارد نيكسون ، فإن هذه الحرية المزعومة قد فقدت معناها وتكشفت عن واقع مذموم تحمل واجهته شعارات براقة لكنه يخفى خلفه ممارسات متعددة من التسلط والزيف والكذب والخداع بل والتجسس ذاته ، مثلما حدث من ممارسات أمريكية ضد ليبيا والعراق فى وقت واحد .. !!

فالصحافة التى كان ينبغى أن تكون وسيلة لتشكيل الرأى

العام على أسس سليمة من الصدق والواقعية بحيث تكون مسئولة أمامه - كصحافة حرة فى ظل نظام ديمقراطى - وأن يكون تأييدها أو معارضتها استنادا إلى حقائق أو معلومات مؤكدة ، هذه الصحافة اكتشفت أنها مجرد وسيلة فى أيد أخرى تتولى تضليلها وتوجيهها لتحقيق غايات وأهداف بعيدة كل البعد عن الشعارات المرفوعة والتى تعمل فى ظلها هذه الوسائل الاتصالية ، وأن الحرية الحقيقية للصحافة تكمن فى الإخبار عن ماجرى بالفعل وليست فى نشر آراء وتعليقات يراها البعض مخالفة للخط الرسمى للدولة التى تصدر فيها الصحيفة ، فهذه الآراء والتعليقات المخالفة - عند وجودها - هى نتيجة لجانب معين فقط من حقيقة ما جرى كله ، أما الحرية الحقيقية فهى الإخبار بما جرى كله ، وهذا من النادر حدوثه رغم الشعارات التى ترفعها الدول وترفعها الصحافة أيضا ..

لقد أكد « ريجان » منذ سنوات أسفه وحزنه لتوقف صحيفة « الواشنطن ستار » The Washington Star المسائية نهائيا عن الصدور ، وقال فى رسالته إلى رئيس التحرير والتى نشرت فى العدد الأخير منها قبل توقفها مباشرة ، إنه (منذ تأسيس الجمهورية - الولايات المتحدة الأمريكية - كانت الصحافة مبدأ أوليا بالنسبة للأمريكيين ، ولقد آمنا دائما بأن الحقيقة إذا ما منحت مسافة قليلة للتنفس ، فإنها تصبح قوة

كاملة من تلقاء نفسها .. ولقد آمنا بأن صحافة حرة – مهما كانت تجاوزاتها العابرة – هى عنصر جوهرى للبحث عن الحقيقة وللحرية الإنسانية التى تعبر عنها)[٥] ، لكن هذا الكلام عن الحرية والحقيقة لم يكن سوى شعارات أيضا ..

فقد تفجرت أزمة عدم مصداقية البيت الأبيض نفسه كمصدر رسمى رئيسى للإعلام إثر استقالة « برنارد كالب » من منصبه – كمتحدث صحفى باسم وزير الخارجية الأمريكية – احتجاجا على خطة التضليل الإعلامى التى اتبعتها أمريكا تجاه ليبيا ، والتى كشف عنها « بوب وودوارد » محرر صحيفة « الواشنطن بوست » (وهو الصحفى نفسه الذى ساهم فى كشف فضيحة ووترجيت التى أسقطت نيكسون إثر إدلائه بمعلومات كاذبة للكونجرس عن عملية التصنت على مقار الحزب الديمقراطى المنافس خلال الانتخابات) ليبّين للرأى العام المحلى والعالمى أن الحكومة الأمريكية قصدت بمقتضى تلك الخطة الإعلامية تجنيد الصحافة ووسائل الإعلام لنشر التقارير الكاذبة التى تُظهر الرئيس الليبى فى صورة رجل الإرهاب الأول فى العالم ؛ مما يبرر للرأى العام – المحلى والعالمى – الهجمات المتعددة ضد ليبيا[٦] ..

وآثر « كالب » الاستقالة من منصبه احتجاجا على « خطة البيت الأبيض التى تسببت فى الإساة إلى سمعة الإعلام الأمريكى وأفقدته – إلى حد كبير – ثقة الجماهير التى كان

يتمتع بها » خاصة وأن « كالب » صحفى بارز ومعلق مرموق لا يرضى لنفسه أن تؤخذ تصريحاته بعد ذلك من الشك بدلا من التصديق المباشر ..

ثم جاءت فضيحة الأسلحة الأمريكية لإيران – والتى كشفت خيوطها مجلة (الشراع) اللبنانية – لتقضى تماما على مزاعم مصداقية الإعلام الأمريكى وتضعه موضعه الصحيح كدعاية لها أوجهها المختلفة وتعبر عن اتجاهات ومصالح مختلفة أيضا .. فقد تلقفت الصحافة الأمريكية الخيط من المجلة اللبنانية – الشراع – لتكشف قيام الرئيس رونالد ريجان بالدور حيث وافق على العمليات السرية الخاصة بإرسال شحنات الأسلحة إلى إيران وإصداره تعليمات لمدير المخابرات الأمريكية – وليم كيسى – بعدم إبلاغ الكونجرس أو لجانه المختصة بشئون الأمن القومى والمخابرات بهذه العمليات[٧] بالإضافة إلى استخدام أرباح صفات هذه الأسلحة لتمويل الحملات الانتخابية فى التجديد النصفى للكونجرس لصالح المرشحين المؤيدين لبرنامج الرئيس ريجان فى مجال مساعدة متمردى نيكاراجوا – الكونترا – الذين يطالبون بإنهاء حكم الرئيس دانيال أورتيجا والعودة إلى النظام البرلمانى الغربى ، وكذلك لتمويل الحملات المعادية لمرشحى الحزب الديمقراطى المعارض فى أمريكا ..

.. وخرجت الصحافة ومراكز استطلاعات الرأى بأخبار وتحليلات ودراسات ونتائج تقول إن أغلبية ساحقة من

الأمريكيين – وبالتالى فى العالم كله – لم تعد تصدق الرئيس الأمريكى(٨) ، وتعدت أزمة البيت الأبيض لتحتل الصفحات الأولى فى الوسائل الإعلامية فى المملكة المتحدة(٩) ثم فى العالم كله ..

ومن هنا أصبحت مصداقية الوسائل الاتصالية كلها محل شك كبير مادام « البيت الأبيض » نفسه يعمل بعدة أوجه مختلفة ويعلن غير ما يبطن حتى فى مجال تعامله مع الشعب الأمريكى نفسه ، وبالتالى أصبحت مصداقية القائم بالاتصال Communicator محل شك ؛ إذ قد يقوم بالتعبير – دون قصد منه – عن مهام خفية Latent Functions ليست واضحة فى محتوى الرسالة الاتصالية لكنها ناتجة عن تخطيط وتدبير من جهة المصدر أو القائم على أمر الوسيلة الاتصالية ..

.. ونتيجة لذلك كله بدأت النظرة تتجه إلى عملية الاتصال بشكل عام للوصول إلى ما يعيد الجسور المفقودة بين الإعلاميين وبين جمهورهم على أسس من الصدق والموضوعية ، وبدأ البحث عن إعلام يسير على أسس ثابتة ، ولا يتخبط حسب أهواء أصحاب القرار ، لكن أصبح ذلك عسير المنال مادامت الوسائل الاتصالية مركزة فى هجومها – الواضح وغير الواضح – ضد الإسلام وضد المسلمين للهيمنة عليهم وعلى بلادهم ..

إعـلام أم دعايـة ؟

إذا كان التدفق الاتصالى الدولى قد نجح فى اختراق الحواجز والحدود بوسائله المختلفة من إذاعات دولية موجهة وأقمار صناعية وصحافة عالمية ذات طبعات متعددة يختلف مضمونها ولغتها باختلاف الدولة (أو مجموعة الدول) الموجهة إليها(*) ، فإن هذه الاتصالات بمحتواها ووسائلها ليست على حياد سواء كان هذا معلنا أو غير معلن ، فالوسيلة كالرسالة الاتصالية تماما لها دلالات ثقافية واجتماعية ، وهناك عوامل كثيرة تؤثر على طبيعة ومحتوى الرسالة أهمها « من يسيطر عليها ومن يتصل بها »[١٠] وأصبح من غير المنطقى التسليم بتعريف الإعلام على أنه – كما يقول العالم الألمانى « أوتوجروت » – « تزويد الجماهير بالمعلومات الدقيقة والأخبار الصحيحة والحقائق الثابتة والسليمة التى تساعدهم على تكوين رأى صائب فى واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا الرأى تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم »[١١] فهذا يعنى أن الاتصال بشكل عام – والإعلام بشكل خاص – تعبير موضوعى متجرد عن التعبير الذاتى بعيد عن التحيز والأهواء قائم على الحقائق والأخبار الصحيحة[١٢] ، وهذا ما تكذّبه

الممارسات الفعلية التى تقف خلفها احتكارات دولية متعددة وتحالفات متبادلة وحيدة الطرف One Side أو عامة أو محدودة أو دائمة وغيرها[١٣] ، حيث أصبح الإعلام الرسمى عملية اجتماعية - رسمية فى أغلب الأحيان - تعبر عن مضمونات سياسية واجتماعية بعينها بقصد تحقيق وظائف يسعى بناء القوة فى المجتمع إلى توصيلها[١٤] مما يدخل هذا الاتصال المخطط تحت باب الدعاية وليس الإعلام ، خاصة بعد تجرده من الموضوعية والصدق وعدم التحيز إثر تكشف ممارساته عن مهام خفية Latent Functions قصدها القائمون على أمر هذا الاتصال بعيدة كل البعد عن القيم الإنسانية ، حتى صناعة استطلاع الرأى - التى تدخل فى باب الدراسات العلمية - تعاطفت بلا تحفظ مع السياسات الرسمية ، فها هو جورج جالوب أشهر خبير فى دراسات استطلاعات الرأى العام وصاحب المؤسسة الشهيرة « مؤسسة جالوب » فى هذا المجال يعترف بهذا التحيز لخدمة السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية ، بتهيئة العقول داخل الوطن - وخارجه - للتدخلات العسكرية الخارجية أو المنعطفات الجديدة فى هذه السياسات الخارجية[١٥] وهو ما حدث بالفعل تجاه التدخل العسكرى الأمريكى فى فيتنام فى منتصف الستينيات ، والهجوم ضد ليبيا فى أغسطس من عام ١٩٨٦ وكافة الممارسات الإعلامية الأجنبية التى تتدفق على ديارنا بشكل ملح لتحقيق

أهداف وسياسات ومصالح معينة فى اتجاهات متعدده دينية واقتصادية وسياسية وغيرها ..

موضوعية الاتصال الإسلامى

إذا كان الإعلام الدولى قد فقد موضوعيته نتيجة للسياسات التى يعكسها ، فإن الإعلام الإسلامى هو الإعلام الوحيد الذى يعمل - فى المجال المحلى أو الدولى - وفق سياسة واحدة لاتتغير بتغير الزمان أو المكان ولاتتلون أو تنحرف مرضاة قوة أو تحالفات أو أهواء معينة ، فهو ينطلق من منطلقات ثابتة هى القرآن الكريم الذى أوحى به الله إلى محمد ليكون للعالمين نذيرا ، والسنة النبوية الشريفة ، وذلك بهدف تقديم الإسلام للناس أجمعين - عربهم وعجمهم - كما فى القرآن الكريم والسنة المطهرة[١٦] ، وبناء الإنسان على هدى الإسلام والعمل على تماسك الأمة الإسلامية واعتصامها بحبل الله جميعا دون فرقة أو انقسام ، والدعوة إلى التضامن والتعاون والتكامل وبعث الفكر الإسلامى الأصيل وبناء الثقافة العربية والحضارة الإسلامية وإلقاء الضوء على كل جديد ودراسته وتقويمه بمعايير الإسلام وعلى هدى مبادئه وتعاليمه ، بحيث يتحرك هذا الإعلام على قاعدة قوامها : الثبات فى الأصول والتطور فى الفروع[١٧] فالإسلام حقيقة ثابتة وليس نظرية قابلة للاجتهاد والخطأ والصواب ..

فرغم أن الإعلام الإسلامى لايقتصر على أمة دون غيرها أو دولة معينة ، إلا أنه لايتلون ليلائم الجمهور الذى يخاطبه ، بل له محتواه الثابت الذى لايتغير ، وإنما يكون الاختلاف فى مدى التوسع فى تفسير الرسالة الإعلامية واختيار المنطق الإعلامى المناسب لاستمالة الجمهور الموجهة إليه الدعوة ، فهناك الإعلام الإسلامى للدول الإسلامية ، والإعلام الإسلامى الموجه للدول غير الإسلامية(**) والتى يمكن أن تضم فئات متعددة ؛ منها :[18]

١ - الأقليات الإسلامية .

٢ - أصحاب الأديان السماوية غير الإسلام (من المسيحيين واليهود) وهؤلاء ينقسمون بدورهم إلى فئات مختلفة من حيث التقبل للدعوة من عدمه ومدى معرفة ماهية الدين الإسلامى الذى يدعوهم هذا الإعلام إلى الدخول فيه .

٣ - الذين لم تبلغهم الدعوة الإسلامية ومن فى حكمهم من اللادينيين .

.. فالإعلام الإسلامى فى تحركه - داخليا وخارجيا - يتوجه على هدى الإسلام لإبراز صورة المجتمع المسلم كما ينبغى أن تكون بكل خصائصها ومقوماتها ودعائمها ومميزاتها دون فصل بين السياسة ولا العقيدة ولا الأخلاق ، فالإسلام لايقر المبدأ الميكافيللى القائل بأن « الغاية تبرر الوسيلة » ، فالمسلم

حيثما وجد يتوجه فى ممارساته الفعلية (القولية والعملية) والفكرية من منطلق إسلامى ، وعلى هذا الأساس القوى يبنى علاقاته فى النواحى الاقتصادية والفكرية والاجتماعية المدنية والجنائية سواء على مستوى الأسرة أو الجماعة أو الدولة ، فالإسلام هنا هو الغاية وإليه المنتهى وكل الأنظمة والمناهج والوسائل والإمكانات موجهة لنشره وتثبيت دعائمه(١٩) ، ومن هنا فمصداقية هذا التوجه الإسلامى للمسلمين ولغيرهم لاتتزعزع ولاتضطرب ولا تتقلب لهوى أبدا ، وهذا ما يزرع الطمأنينة فى نفس الجمهور الموجهه إليه الرسالة الاتصالية بشكل عام ويجعله يميل إلى الثقة فى محتوى الرسالة لمعرفته أن الإسلام بمبادئه وتشريعاته يقوم بتحرير الإنسان من أهوائه ونزواته ويجعله يسلك الطريق المستقيم ..

إن تاريخ الاتصال الإسلامى منذ فجر الدعوة الإسلامية يؤكد صدق الممارسات الإعلامية مهما تغيرت الوسيلة التى يستخدمها القائم بالاتصال ، فدائما كانت الفكرة النافعة لإشاعة العقيدة السليمة وإعلاء كلمة الله هى المبتغى ، مما يجعل التواصل بين المُرسِل والمستقبِل فى تقارب مستمر ، رغم الهتافات(***) المتكررة المناوئة للشخصية المسلمة بشكل عام وللعربى بشكل خاص والتى تشيعها أجهزة الاتصال التى تسيطر عليها القوى العالمية حيث تتم صياغة ورسم سمات الشخصية المسلمة وفقا لمقاييس وتقاليد ومواصفات غربية

ساهمت فى تشكيلها - المقاييس - الاضطرابات والأزمات والأهواء والعواطف والانحيازات الدينية والمصالح السياسية[20] لإحداث رد فعل معاكس للدعوة الإسلامية ، وللاتصال الإسلامى بشكل عام ، وتصوير الإسلام على أنه - رغم انتهاء الحروب الصليبية - لايزال يعتبر منافسا جغرافيا وروحيا للغرب المسيحى ، وأنه دائما مصدر قلق واضطراب لهذا الغرب[21] خاصة بعد حرب ١٩٧٣ وظهور سلاح البترول فى أيدى العرب وتهديده مصالح الغرب كورقة رابحة فى المواجهة العربية مع الصهيونية[22] ، مما أدى إلى تغير العبارات المؤثرة التى كان يستخدمها الصهيونيون فى أمريكا لجمع التبرعات والتى تقول : (أعطونا لنعيش) إلى شعارات حادة - ساهم فيها غير الصهاينة أيضا تقول : (اعطونا لنقتل العرب) !!

لكن الممارسات الفعلية للمسلم وللصهيونى تعمل على تغيير الصورة مع مرور الزمن إلى صورة أقرب إلى الواقع ..

فالمسلم بسلوكه الرشيد وإنسانيته التى أوصاه بها دينه الحنيف ؛ لايمكن أن يقف فى اتجاه واحد مع الممارسات الشائنة وغير الإسلامية للصهاينة فى تعاملهم الحاقد النابع من أكذوبة « شعب الله المختار » ..

محاولات متعددة للخروج من الأزمة

.. التشويه المتكرر لصورة غير الغربيين فى النظام الإعلامى الراهن الذى تسيطر عليه الاحتكارات العالمية ، والصمت المتعمد إزاء القضايا الهامة والدعايات المضادة التى ترتكز على دعاوى العرقية الجنسية والثقافات الغربية ؛ ذلك كله جعل العالم يسعى للخروج من مأزق التبعية الإعلامية بالبحث عن نظام جديد للإعلام يقوم على التكافؤ واحترام ذاتية الفرد وهويته الثقافية ، فكان أن وافق المؤتمر العام لليونسكو فى الخامس والعشرين من أكتوبر ١٩٨٠ بالإجماع على مشروع « النظام العالمى الجديد للإعلام والاتصال » والذى عُرف بـ (تقرير ما كبرايد) للقضاء على الآثار السلبية للاحتكارات الدولية لوسائل الاتصال وإحداث التوازن فى الإعلام بشكل عام لمنع – أو تقليل – إمكانية بعض هذه الاحتكارات تشكيل أفكار آراء الشعوب وإخضاعها لقيمها الخاصة[٢٣] ، أيضا المحاولات المتعددة لوضع ميثاق شرف للصحافة بشكل عام ، وإصدار بعض الصحف الجديدة البعيدة عن التحالفات والتكتلات ، وأحدث هذه الصحف صحيفة The Independent البريطانية التى أطلقت على نفسها اسم

« المستقلة » وتحاول أن تطبق ذلك بالفعل[٢٤] .. وكل ذلك للخروج من الاحتكارات التى تشوه أو تمنع بعض المعلومات وتسمح بمعلومات معينة تساعد فى تكوين وجهات نظر معضدة لها أو على الأقل غير مناوئة ، وهو ما يطلق عليه فى علوم الاتصال نظرية حارس البوابة الإعلامية .. !!

إن الاتصال الإسلامى فى ممارساته قد وضع الضوابط الكفيلة بجعل هذا الاتصال لايُظهر غير ما يبطن ، تؤكد ذلك مراسلات الرسول ﷺ إلى أمراء وملوك عصره ؛ حيث الصراحة والوضوح : (أسْلِمْ تَسْلَمْ) ومعاهداته وأحاديثه وخطبه ، وقد سار على هذا النهج من حملوا عبء الدعوة داخل البلاد الإسلامية وخارجها .. فها هو أبوالحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب – فى القرن الرابع الهجرى – يؤكد فى كتابه (البرهان) : « أن أصحاب الخبر ينبغى أن يكونوا من أصح العمال ديانة وأكملهم أمانة وأظهرهم صيانة » كما أنه لا ينبغى أن يتقدمهم أحد فى الصدق والثقة والأمانة غير القضاة ومن جرى مجراهم ، وهم من لايكونون فيهم شىء من الحدة والحسد والغفلة » ، كما يطالب بن خلدون فى مقدمته بأن يتواءم الخبر مع ما يعبر عنه ؛ وأنه إذا « كانت النفس البشرية على حال من الاعتدال فى قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه » ..

فالحل للخروج من أزمة عدم المصداقية التى تفجرت هذه الأيام وأفقدت الثقة فى الوسائل الاتصالية فى الغرب هو اتخاذ المنهج الإسلامى فى الإعلام والاتصال بشكل عام حيث الثبات والوضوح وعدم التخبط وراء الأهواء وألاعيب السياسة ، فالإعلام الإسلامى مصدره الأول تعاليم القرآن الكريم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو يختلف عن النظريات الإعلامية الوضعية القابلة للصواب والخطأ والاجتهاد ..

وعلى وسائل الاتصال فى العالم الإسلامى أن تقوم بدورها الفعّال فى أن تُعلم وترشد وتوجه إلى الطريق الصحيح ، فالمسئولية الإعلامية قد كلف الله بها المسلمين جميعهم فى قوله تعالى :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ .

[آل عمران : ١١٠]

إحـــالات هامشـية :

(١) محمد عزيز شكرى ، **الأحلاف والتكتلات فى السياسة العالمية** ، سلسلة « عالم المعرفة » ، العدد (٧) « الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب : رجب/ شعبان ١٣٩٨هـ - يوليو ١٩٧٨م » ص١٥ .

(٢) إبراهيم إمام ، **وكالات الأنباء** ، طبعة ثانية (القاهرة ، دار الفكر العربى : ١٩٨٤) ص٢٦٨ .

(٣) **سورة (المدثر)** : ١ : ٨ .

(٤) عبدالوهاب كحيل ، **الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامى** ، الطبعة الأولى (القاهرة ، عالم الكتب : ١٤٠٦هـ / ١٩٧٥م) ص٢٩ .

(٥) **The Washington Star**, Final Edition, 7. August, 1981. وقد نشرت الصحيفة رسالة ريجان إليها تحت عنوان : « رسالة (القارئ) ريجان إلى رئيس تحرير الواشنطن ستار » .. وكانت الصحيفة قد أحدثت ضجة كبيرة فى عالم الصحافة نظرا لتاريخها العريق منذ صدورها فى ١٦ ديسمبر ١٨٥٢ .

(٦) **The Washington Post**, 2. October, 1986.

(٧) **The Washington Post**, 16. November, 1986.

(٨) أصبحت تفاصيل الصفقة السرية هى القصة الإخبارية الرئيسية لأغلب الصحف والمجلات منذ كشف خيوطها الأولى .. انظر :

Time, 17. November, 1986.

حيث كشفت أن العلاقة السرية بين الولايات المتحدة وإيران ترجع إلى عام ١٩٨٢م ..

و : -**News Week**, 17. November, 1986.

«Reagan's secret strategy: The Iran Connection»

واحتلت قصص هذه الصفقة الموضوع الرئيسى للعدد فى سبع صفحات وصفت ملابسات الواقعة بالتآمر والخداع والتجسس Cleak and Dagger

و : عن عدم الترابط فى موضوع الصفقة -**Time,** I. December, 1986

و : -**The Washingon** Post, I.December, 1986.

التى ذكرت أن أمريكا صدّرت السلاح إلى إيران مباشرة بعد قيام سماسرة السلاح فى إسرائيل بإبدال قطع غيار حديثة من الصفقة بأخرى قديمة !

(٩) -**The Observer,** 16.November. 1986.

(•) فى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها اليوم اكثر من ١٢٠٠ محطة تليفزيون و ١٧٥٠ صحيفة يومية ، و ٨٠٠٠ محطة إذاعية ، وأكثر من ٦٠٠٠٠ مجلة أسبوعية وشهرية .. وكل هذه الوسائل المختلفة والمتنوعة تتحكم وتسيطر عليها فئة محدودة وشركات معدودة ، فهناك ٥٠ شركة فقط تسيطر على وسائل الإعلام ، تستقطب عشر شركات أكثر من نصف المستمعين للراديو التجارى Commercial Radio كما أن عشرين صحيفة يومية تسيطر على نصف المبيعات من الصحف اليومية ، والحال نفسه مع المجلات الاسبوعية والشهرية ..

ارجع إلى مجلة (المجلة) ، العدد ٣٥٨ (لندن ، الشركة السعودية للابحاث والتسويق : ١٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٦/١٩٨٦ ربيع الآخر ١٤٠٧هـ) ص٦٦ ، حوار مع جاك شاهين أستاذ الصحافة فى جامعة جنوب الينوى ..

و : هربت . أ . شيللر ، **المتلاعبون بالعقول** ، ترجمة عبدالسلام رضوان ، سلسلة « عالم المعرفة » ، العدد ١٠٦ (الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب : محرم ١٤٠٧هـ / أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٦ ص ٢٧ .

(١٠) بولى جورج فرجيز ، « فلسفة الاتصال من أجل التنمية : وجهة نظر الهند » ترجمة إبراهيم عصمت مطاوع ، **مجلة « الثقافات »** ، (القاهرة ، اليونسكو : ١٩٨٣) ص٦٩ .

(١١) إبراهيم إمام ، **الإعلام والاتصال بالجماهير** (القاهرة ، الانجلو :١٩٦٩)

(١٢) أكرم عبدالملك أسعد ، **نحو إعلام إسلامى** ، الطبعة الأولى (القاهرة ، مطبعة المدينة : ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ص١٥ .

(١٣) مرعى مدكور ، **الإعلام الإسلامى الطباعى : فى الدول غير الإسلامية** ، الطبعة الأولى (القاهرة ، دار المعارف : ١٩٨٥) ص ١١١ .

(١٤) عبدالباسط عبدالمعطى ، **الإعلام وتزييف الوعى** (القاهرة ، دار الثقافة الجديدة : ١٩٧٩) ص١٥ .

(١٥) هربرت . أ. شيللر ، **مرجع سابق** ، ص ١٥٢ : ٢١٧ .

(١٦) مرعى مدكور ، **الإعلام الإسلامى الطباعى** ، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

(١٧) إبراهيم إمام ، « تطوير وسائل الإعلام الإسلامى » ، **مجلة رابطة العالم الإسلامى** ، العددان الحادى عشر والثانى عشر ، السنة الثامنة عشرة ، سبتمبر واكتوبر ١٩٨٠ ، ص ١٠٦ .

**) توجد دول ذات أكثرية مسلمة ، لكنها تعلن أنها ليست دولة دينية ، مثل ذلك إندونيسيا ذات الأكثرية المسلمة بنسبة ٨٨,٠٩٪ (كاثوليك ٢,٥١٪ ، بروتستانت ٥,٣٥٪ ، وهندوك ٢,٠٥٪ ، وبوذيون ٠,٩٦٪) كما تقول الاحصائية الصادرة عام ١٩٨٠ عن الهيئة المركزية للإحصاء فى إندونيسيا نفسها .. انظر :

– عبدالرحيم أرشد بن محمد أرشد ، **دكتوراه : غير منشورة** ، « الدعوة الإسلامية فى إندونيسيا » ، مكتبة الدعوة الإسلامية بالأزهر ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ ..

ورغم ذلك فالدولة تنفى عن نفسها أنها دولة دينية ، وتزعم أنها : (لاتقوم على أساس دين معين ، وإنما تقوم على أساس فلسفة الدولة الأيديولوجية الوطنية التى تسمى « البنتشاسيلا » التى هى الأساس الفلسفى للثورة وأساس الدستور الذى أعلن غداة الاستقلال ..) !!!

فـ « البنتشا : خمسة » و« سيلا : الأساسى »

أى « الأسس الخمسة المتلاحمة » والتى تترتب على النحو التالى :

ـ الربانية المتفردة : أى الإيمان بالرب الواحد .

ـ الإنسانية .

ـ الوحدة الأندونيسية .

ـ الشعبية الموجهة بالحكمة فى الشورى النيابية .

ـ العدالة الاجتماعية للشعب كافة .

وهذا نجاح كبير للمناوئين للإسلام فى أن تخلع أكبر دولة من حيث تعداد المسلمين عن نفسها صفة الإسلام !!

(١٨) مرعى مدكور ، **الإعلام الإسلامى الطباعى : فى الدول غير الإسلامية** ، مرجع سابق ، ص١٩٦ .

(١٩) يوسف القرضاوى ، **الحل الإسلامى فريضة وضرورة** ، الطبعة الثانية ، (القاهرة – مكتبة وهبة : ربيع الثانى ١٣٩٧هـ / إبريل ١٩٧٧م) ص٩٦ .

(***) الهتاف يشير إلى الخلاصة المركزة للحملة الإعلانية ، حيث تكون الفكرة أو السلعة المعلن عنها قد مرت لدى المستهلك بمراحل متعددة ووصلت إلى مرحلة الاستقرار وأنها فى ذهنه بالفعل ، فهو للتذكرة فقط للقيام بفعل إيجابى ..

(٢٠) ادوارد . و. سعيد ، **تغطية الإسلام** ، ترجمة سميرة نعيم خورى ، الطبعة العربية الأولى (بيروت ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٨٣) ص٧٤ وما بعدها .

(٢١) ادوارد ، و . سعيد ، **الاستشراق : المعرفة . السلطة . الإنشاء** ، ترجمة كمال أبوديب (بيروت ، مؤسسة الابحاث العربية ، ١٩٨٣) ، ص٢٨٦ .

و : ادوارد سعيد ، « السياسات الثقافية » ، **مجلة (المجلة)** ، العدد ٣٥٦ ، ص٢٦ .

(٢٢) أحمد أبوزيد ، « الإعلام والرأى العام » ، **مجلة « عالم الفكر »** (الكويت وزارة الإعلام : يناير . فبراير . مارس ١٩٨٤) ص١٠ .. وانظر :

ـ عواطف عبدالرحمن ، **قضايا التبعية الإعلامية والثقافية فى العالم الثالث** ، سلسلة « عالم المعرفة » ، العدد ٧٨ (الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب :) ص ٢١٧ وما بعدها .

(٢٣) - **The Independent**, 7. October, 1986.

الفصـل الثانى :

المخططـات الدولية لتشويه الإســلام

مواجهــة مستمرة ضد الإســلام

منذ ظهور الإسلام كعقيدة إنسانية شاملة للبشرية جمعاء ، لاتخص بنعمة الله أمة دون أخرى أو طبقة على غيرها ؛ وهذا الدين - الإسلام - يواجه حملات عدائية شعواء من الغرب ومن الشرق على السواء منذ خيانات اليهود لعهود رسول الله ﷺ وحتى الإذاعات الدينية المعاصرة التى تهدف إبعاد الناس عن الإسلام وتحويل المسلمين عن دينه الله ..

وقد نشطت هذه الحملات العدوانية تتوالى ضد الإسلام إثر انطلاق المسلمين فى عهد الخلفاء الراشدين ينشرون دين الله خارج الجزيرة العربية ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الشك إلى اليقين ، ومن التعدد إلى التوحيد ، ومن الإلحاد إلى الإيمان ، ومن العنصرية إلى الإنسانية .. إلا أن هذه الحملات أخذت شكلا نظاميا بعد الفتوحات الإسلامية الكبرى فى الشام ومصر والعراق وفارس والأندلس ، وقهر دولتى الشرق (الأكاسرة) والمغرب (القياصرة) حيث لم تعد فارس ولا بيزنطة تفرضان سطوتيهما على العالم أو يدان لهما بالولاء كما كان الحال عليه قبل الإسلام .

ومع مرور السنين لم يعد الشرق امتدادا للغرب ومسرحا لسيطرته وسطوته ، بل على العكس من ذلك تماما ، فقد بدأ الشعور الأوروبى - خاصة - بالتحدى الإسلامى قويا ومثيرا للرهبة والخوف ، وتجسّد هذا الخوف بعد أن فتح المسلمون مناطق كثيرة كانت تعتبر معاقل حصينة للمسيحية ، وظهر الإسلام ؛ سواء فى صورة الدولة العربية أو العثمانية أو الشمال الأفريقى أو الإسبانية ؛ كقوة جبارة تهدد أوروبا المسيحية فى عقر دارها ، بل إنه قد هزّ بالفعل سلطان روما نفسها وزلزله وفتح القسطنطينية وألبانيا والبوسنة والصرب عام (١٤٢١-١٤٥١م) ثم بلاد المجر على يد سليمان الثانى ليصبح بحر إيجة بحرا إسلاميا ؛ وهو أمر لايمكن لأى أوروبى فى الماضى أو فى الحاضر أن ينساه أو يتناساه[١] ..

وأصبح الطعن المنظم من الأوروبيين - خاصة - ضد الدين الإسلامى مقيدا باعتبارين :[٢]

- اعتبار دينى .
- والآخر سياسى .

ذلك أنهم رأوا أن الإسلام الذى غلب النصرانية فى الشرق قد بدأ يغلبها فى الغرب أيضا .. فكانت العدة لصد هذا التيار بمحاولات تغريب شعوبه عن دينهم وبيئاتهم ، ومحاربة الدين بالافتراء عليه وبالطعن فيه .. وهكذا أعد أعداء الإسلام العدة لقتال المسلمين بالسلاح وبالسياسة ، وأحكموا نظام الحربين

معا : القتال العسكرى ؛ والغزو السياسى والفكرى عن طريق وسائل الاتصال ..

ففى الجانب العسكرى بدأ الغرب المسيحى توجهاته العسكرية ضد البلاد الإسلامية فى صورة حملات صليبية عام ٤٩٠ هـ (١٠٩٦م) كانت أولى طلائعها الحملة الصليبية الأولى التى انتهت بسقوط عكا فى أيد المسلمين بقيادة السلطان الأشرف خليل بن المنصور قلاوون سنة ٦٩١ هـ (١٢٩١م) وضياع الممتلكات الصليبية فى الشام ، وفى الوقت نفسه كان الزحف المغولى المدمر يحاول استئصال الحضارة الإسلامية ، وبالفعل نجح المغول فى اقتحام بغداد عام ٦٥٦هـ بقيادة هولاكو وأسقطوا الخلافة العباسية ، ثم واصلوا زحفهم لتدمير الحضارة الإسلامية ، إلى أن تم وقف هذا الزحف وهزيمتهم فى عين جالوت على يد المماليك عام ٦٥٨ هـ (١٢٥٩م) ..

ومن جهة ثالثة كان هناك الزواج السياسى بين فرديناند ملك « أرجونة » وايزابيللا ملكة « قشتالة » عام ١٤٦٩م لتوحيد الأندلس ضد ما أسموه الغزو العربى الإسلامى لتسقط غرناطة عام ٨٩٧هـ (١٤٩٢م) آخر معاقل المسلمين هناك بعدما يقرب من ثمانية قرون ، ثم يصدر فرديناند وإيزابيللا مرسوما – عام ١٥٠٢م – يقضى بإلغاء شعائر الدين الإسلامى فى جميع أنحاء البلاد(٤) .

ووعى الصليبيون أن الحروب والغارات ضد المسلمين قد وحدّتهم صفا قويا وتوقفت عوامل الشقاق بين الأمم الإسلامية ردحا من الزمن لمواجهة هذا الخطر[3] فكان أن أخذ الغزو الأوروبى للبلاد الإسلامية طرقا أخرى ، فها هو لويس التاسع ملك فرنسا يكتب فى وصيته إثر هزيمة حملته الصليبية السابعة على مصر وأسره فى دار بن لقمان بالمنصورة عام ١٢٤٩م ؛ أن يكون الغزو على النحو التالى :[5]

أولا : تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف الغرض نفسه ، ويكون سلاح الحملات الجديد هو إثارة الخلافات بين الأوساط الإسلامية وإشاعة التفكك فى وحدة المسلمين فينهار بذلك الإسلام ..

ثانيا : استخدام من يمكن إغراؤهم من مسيحيى الشرق فى تنفيذ سياسة الغرب ..

ثالثا : إنشاء قاعدة للغرب فى قلب الشرق العربى ؛ يتخذها الغرب نقطة ارتكاز لقوته الحربية للقضاء على الإسلام ، وعيّن لويس السابع لذلك ساحل الشام ..

وبالفعل ، بدأت مخططات متعددة ومنظمة لتنفيذ وصايا لويس التاسع وإحكام السيطرة على العالم الإسلامى دون مواجهة مسلحة مباشرة .. وأخذت المواجهة صورا غير مباشرة تستهدف النيل من الإسلام والمسلمين ؛ منها :

١ - الاستشراق والتنصير ..

٢ - دوائر المعارف والموسوعات العلمية والتعليم ..

٣ - الصحافة ..

٤ - التأليف الأدبي ..

وهذه الوسائل كلها تسير في اتجاهين ؛ حددها القس زويمر ؛ على النحو التالي :[٦]

ـــ « اتجاه تشييد ، واتجاه هدم ، أو بالأحرى مزيتي تحلل وتركيب ، على أساس أنه إذا كانت الوسائل الهجومية والتبشيرية المباشرة قد عجزت عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس المسلمين ، فإن ذلك من السهل الوصول إليه عن طريق بث الأفكار الأوروبية التي تمهد السبل لتقدم إسلامي مادي ، حتى يصبح الإسلام في حكم مدينة محاصرة بالأسلاك الأوروبية » .

وللأسف ؛ أصبح العالم الإسلامي اليوم محاطا بموجات براقة وخادعة متتالية ومستمرة من التشكيك في قدراته وفي دينه ليتحلل من إيمانه القوي ويصبح فريسة لقوى الشر العاتية ، وانهالت المعارك المتعددة والحادة تواجه المسلمين ، تارة من الخارج ، وتارة أخرى من الدخل تحت دعاوى المذهبية والطائفية أو هما معا ، وساعد على ضراوة هذه المعارك التنسيق الواحد بين قوى الشرق والغرب ضد كل ما هو اسلامي .

.. ووسط هذا الانفجار الإعلامى والطوق المحكم ضد كل ما هو إسلامى تتعالى استغاثات وكالة الأنباء الإسلامية (IINA) News Agency International Islamic حتى تسدد الدول الأعضاء التزاماتها المالية التى لم تف بها بعد لتتغلب الوكالة على الأزمة التى تواجهها !!

ألا يعنى هذا أننا نقدم الفرصة للانفجار الإعلامى غير الصادق لغزو عقولنا ؟!!

١ - الاستشــراق والتنصــير

بدأ اهتمام الغرب بدراسة الإسلام وحضارته منذ القرن الثانى من الهجرة ؛ عندما احتك الإسلام بالغرب سياسيا وحربيا وأسس مراكز إشعاع لحضارته فى جنوب أوروبا وغربها الجنوبى ، وبعد الفشل الذريع للحروب الصليبية ، وتأكد هذا الاهتمام بعد ظهور الإسلام كقوة كبيرة تثير الخوف والرعب فى قلوب الأوروبيين - خاصة - بعد فتح القسطنطينية عام ٨٥٧هـ (١٤٥٣م) على يد السلطان محمد الثانى الملقب بـ « الفاتح » ..

وأمام هذا الاجتياح الإسلامى لم يكن أمام الأوروبيين إلا تغيير خططهم العسكرية إلى ما أسموه « الصليبية الروحية » التى تركز على الغزو السلمى لعقول المسلمين عن طريق تعلم الأوروبيين علوم المسلمين ليتمكنوا من تشويه العقائد الإسلامية وتاريخ الإسلام[٧] ..

ورغم أن المؤلفين المسيحيين الذين شهدوا الفتوحات الإسلامية لم يكن لديهم اهتمام ضئيل بعلوم المسلمين وثقافاتهم العالية ، إلا أن هذا الزحف كان يمثل بالنسبة لهم رجّة مأساوية

تهدد الحضارة المسيحية كلها ، فبدأوا يتجهون إلى معرفة الشرق وعلومه لإحكام سيطرتهم عليه ، ومن هنا فإن الاستشراق ليس مجرد موضوع ثقافى أو معرفى ، ولكنه مجموعة من المصالح التى لايقوم الاستشراق بخلقها فقط ، بل بالمحافظة عليها أيضا بوسائل متعددة(٨) ، فالاستشراق - إذن - حقيقة دينية وسياسية فى المقام الأول وثقافية أو معرفية بعد ذلك ..

وقد مر الاستشراق بمراحل متعددة ، على النحو التالى :(٩)

المـرحلة الأولى :

وتبدأ من القرن الثامن الميلادى وتستمر حتى النهضة الأوروبية فى القرن الخامس عشر ، حيث المواجهة العسكرية بين المسلمين وبين الغرب ، ونجاح المسلمين فى هز المسيحية فى عقر دارها ، وقد أفادت أوروبا من الحضارة الإسلامية فى ذلك الوقت وعكف علماؤها على ترجمة ونقل بعض جوانب التراث الإسلامى ..

المـرحلة الثانية :

وتشمل الفترة منذ أوائل النهضة الأوروبية حتى بداية القرن الحالى ، وفيها احتلت دراسة الفلاسفة وعلماء الكلام الإسلاميين مكانها فى الجامعات القديمة ، وظهر أثر الفكر الإسلامى فى اتجاهات بعض الفلاسفة الغربيين أمثال جوته

وغيره ، واتجهت العناية بدراسة سيرة الرسول ﷺ ، وبدأت تظهر الترجمات المختلفة لمعانى القرآن الكريم ، وتأسست الجمعيات العلمية للبحث والدراسة فى تاريخ الإسلام والمسلمين ، كذلك سلسلة المؤتمرات الدولية الاستشراقية لبحث ما توصل إليه المستشرقون وقوافل التبشير من نجاحات أو فشل .

المرحلة الثالثة :

وهى المرحلة التى نعيشها الآن ، وقد اتجه الاستشراق فيها إلى دراسة الأمة الإسلامية فى نهضتها الحديثة والحركات التجديدية والإصلاحية ، مثل : « الوهابية » فى الجزيرة العربية ، و« السنوسية » فى ليبيا ، والتيار الإصلاحى فى مصر والذى قاده الأفغانى وتليمذه محمد عبده ، وأثر التعاليم الإسلامية الأصيلة فى تفكير المسلمين المعاصرين ومدى التزامهم بها عقيدة وشريعة ومنهاجا ..

وسـيلة وغايـة :

لقد تستر الاستشراق بالصبغة العلمية زمنا طويلا ، وشاع أن المستشرق – كما تقول دوائر المعارف والموسوعات العالمية – هو« عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه »[١٠] ، إلا أن الاستشراق والتبشير بالمسيحية فى

حقيقتهيما صنوان لاينفصلان ، وأحدهما مقدمة لنجاح الآخر .. فعندما بدأ الإسلام ينتشر بقوته الذاتية فى معاقل المسيحية ذاتها ، بدأ علماء الغرب يدرسون اللغات ويجمعون المعلومات عن المسلمين لأغراض - كما يقول المستشرقون أنفسهم - عقائدية محضة[١١] لخدمة الوحدة الأيديولوجية التى تكونت ببطء فى العالم المسيحى اللاتينى ، تلك الوحدة التى ساهمت الحروب الصليبية بشكل أساسى فى إبرازها إلى الوجود ككيان ملموس فى مواجهة التواجد الإسلامى ومده فى أوروبا ذاتها ..

وارتكز الفكر الاستشراقى منذ بدايته فى القرن الحادى عشر الميلادى إلى ثنائية جغرافية خطيرة تقسم العالم شطرين غير متساويين ، أكبرهما - وهو الشطر المتخلف فى زعم الغرب - يسمى الشرق ، والآخر المتحضر هو الغرب[١٢] ، وبانتهاء المواجهة العسكرية بين الشطرين - الشرق والغرب - أصبح بالإمكان متابعة الدراسة والبحث والاستكشاف فى جو من الصفاء والطمأنينة لاحتواء العالم الإسلامى .. وأصبح الاستشراق مقدمة ووسيلة لتبصير دعاة المسيحية فى الشرق الإسلامى ، فهو يمهد الطريق لهم ويبصرهم بأحوال البلاد عن طريق تزويدهم بمعلومات وافية لاستخدامها فى العمل التنصيرى ، والهدف فى النهاية واحد : ضرب الإسلام أولا ؛ ثم الحفاظ على تفوق الغرب من الوجهة العسكرية والتجارية والثقافية وخدمة العقيدة المسيحية ..

طلائع الاستشراق :

فى الوقت الذى كانت الحضارة الإسلامية تدق في أبواب المسيحية بعنف لتضيىء للناس حياتهم على أسس راسخة من التوحيد والإيمان والعدل والمساواة ، انجذب إلى هذه الحضارة الشامخة بعض الرهبان منذ أوائل القرن العاشر الميلادى ليدرسوا أصولها وليعرفوا الإسلام عن قرب ، ومن هؤلاء يوحنا الدمشقى ، والراهب الفرنسى جربرت الذى انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩[١٣] ثم ازداد النشاط الاستشراقى عن طريق « بيتر » الفرنسى الملقب بـ « المبجل » راهب دير كلونى والذى أبدى اهتماما كبيرا لاستخدام المصادر العربية فى الهجوم على الإسلام ، فقد قام هذا الراهب برحلات تفقدية للأديرة الكلونية فى أسبانيا بحثا عن قسس لاتينيين يكونون على دراية باللغة العربية ، وأغرى بالرجاء والمال الوفير من تتوافر فيه الشروط لترك أى شىء فى سبيل خير آجل « ألا وهو النضال ضد هرطقة محمد الوضيعة »[١٤]!!

وظلت نزعة الاستشراق وغايته فى خدمة التنصير عن طريق الإفادة من العلوم الإسلامية ثم التشكيك فى إمكانات المسلمين وفى الإسلام نفسه كدين يقود البشرية إلى النجاة فى الدنيا والآخرة ، وقد ساعدت على أداء هذا الدور الحملات الاستعمارية التى سيطرت على بلاد إسلامية متعددة ،

والمعونات المادية التى يغدقها الغرب على الهيئات التنصيرية ومنظماتها المتعددة ..

والقرآن الكريم نفسه - وهو الكتاب الخالد الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - منذ أول ترجمة لمعانيه بتوجيه من بطرس فيزابلس رئيس كنيسة كلنية ، والتى تمت فى الخامس عشر من يوليو ١١٤٣م (٥٣٨ هـ) لم يسلم من افتراءات المستشرقين ومزاعمهم ، فهو - فى زعمهم - من « اختراع محمد الساحر الذى لم ينجح فى الوصول إلى كرسى البابوية »[١٥] فكان أن أحدث انشقاقا كبيرا فى الكنيسة ..

وللأسف يتداول العالم هذه المعلومات غير الصحيحة فى الموسوعات ودوائر المعارف والدراسات الأكاديمية ، على أنها محايدة تماما ، فى حين أنها تصاغ وفقا لمقاييس وتقاليد ومواصفات وتوقعات غربية غير موضوعية ..

والاستشراق يطور أسلحته حسب مقتضى الحال ، ويستخدم فى ذلك وسائل متعددة ؛ منها :

أ - الجمعيات الخاصة التى تتكون تحت ستار العلم ، مثل « جمعية المستشرقين » فى فرنسا والتى تأسست سنة ١٧٨٧م ، و« جمعية تشجيع الدراسات الشرقية فى لندن » (١٨٢٣م) ، والجمعية الشرقية الأمريكية (١٧٤٢م) ، وغيرها من الجمعيات المنتشرة فى النمسا وهولندا وإيطاليا وروسيا وغيرها من دول العالم ..

ب – المؤتمرات الاستشراقية المتعددة ، وأهمها مؤتمر القاهرة الذى تم افتتاحه فى الرابع من إبريل سنة ١٩٠٦ فى منزل عرابى باشا فى باب اللوق ، والذى بلغ عدد مندوبى إرساليات التبشير فيه ٦٢ بين رجال ونساء يمثلون الإرساليات التبشيرية الأمريكية والإنجليزية والاسكتلندية والألمانية والهولندية والسويدية الدانمركية فى الشرق وفى الدول العربية بوجه خاص ، وقد ترأس هذا الملتقى التبشيرى القس « زويمر » رئيس إرسالية التبشير فى البحرين فى ذلك الوقت[١٦] ..

جـ – التبشير عن طريق الطب ؛ حيث يكون ذلك العمل فى مأمن من مناوأة حكومات الدول الإسلامية له ، والمسلمون أنفسهم يلجأون إلى مستشفيات المبشرين ومستوصفاتهم ، وبالفعل تم افتتاح عدة مستشفيات فى دول متعددة (إحداها المستشفى القبطى فى القاهرة والذى افتتح عام ١٩٢٦) ..

د – الأعمال النسائية مثل زيارة المبشرات لمنازل المسلمين وإلقائهن المحاضرات الخاصة ، ولم تلق هذه الوسيلة نجاحا فى الدول العربية مما أدى إلى الكف عن مزاولتها ..

وتتجسد خطورة المد الاستشراقى التبشيرى ضد المسلمين إذا دققنا فى النداء الذى وجهته مؤخرا جمعية الإغاثة العالمية فى لندن والذى « يناشد جميع المسلمين فى العالم أن يتعاونوا لإنقاذ إفريقيا المسلمة من خطر التنصير » ويذكر التقرير أن » نسبة المسلمين فى مالاوى قد انخفضت من ٧٠/ إلى ٣٠٪ نتيجة

الحملات التبشيرية ، وأن مركز التبشير فى داكار يعمل به ٢٥ ألف قسيس وراهب ، وأن هناك ٦٥ مليون مسلم فى إفريقيا معرضون للارتداد عن الدين بسبب المجاعات والأمراض وغيبة الدعاة المسلمين » ..

.. الأمر الخطير فى ذلك كله أن نجد بيننا من يتبنى الأطروحات الاستشراقية ذات الانحيازات الدينية والمصالح السياسية ، أو - على الأقل - يسير فى ركاب هذه الانتماءات تحت شعارات الحرية ، يحدث هذا فى الوقت الذى يبحث فيه أهل الغرب عن حياة روحية فى الفلسفات المختلفة من ثيوزوفيه(*) وغيرها مع المكابرة والإصرار على العداوة الشديدة للإسلام الذى ارتضاه الله للبشرية دينا والذى يقدم قواعد عامة فى شتى مناحى الحياة حسب منهج الله الذى رسمه سبحانه وتعالى للحياة فى الأرض والذى يعد أساساً لصلاح الكون والحياة ..

٢ - دوائر المعارف والموسوعات العلمية والتعليم

رغم أن معالم الدعوة الإسلامية واضحة وبينة ، لاترسمها اجتهادات الأنبياء ولا تتبع من فلسفات فكرية خاصة ، بل هى برنامج إلهى يضم جميع المعارف التى يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم وليستكشفوا معالم الطريق التى تجمعهم راشدين[١٧] ، إلا أن هذه الدعوة تعرضت منذ القدم -

ولا تزال – للتشويه والتحريف بقصد إبعاد المسلمين عن دينهم وتغريب أفكارهم وصبغها بالصبغة الأوروبية ضمانا لسلبهم القوة الذاتية المستمدة من إسلامهم لتظل تبعيتهم للغرب قائمة استمرارا للمكاسب التى يجنيها الغرب من ذلك ..

ولكى يبعد الغرب عن نفسه صفة الاستعمار أو التحيز فقد تستر خبراؤه ودعاته تحت عباءة البحث العلمى والكتابة المعرفية الموسوعية ، فكان هذا الكم الهائل من الموسوعات ودوائر المعارف العلمية والكتب المليئة بالمغالطات والمفتريات ضد الدين الإسلامى والمسلمين ، أيضا إنشاء الجامعات التبشيرية وصبغ التعليم الجامعى صبغة أوروبية ، وإحداث ثنائية تعليمية فى بلادنا بفصل التعليم الدينى عن التعليم المدنى بهدف إبعاد الدين عن مناحى الحياة المختلفة وحصره فى الوعظ والإرشاد داخل المساجد ، مع أن الدين الإسلامى برنامج كامل ينظم أمور الحياة كافة على هدى وبصيرة ليقود الناس إلى الصراط المستقيم ، كما فى قوله تعالى : ﴿ الرَ كِتابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيكَ لِتُخْرِجَ النَاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ ﴾

[ابراهيم/ الآتية : ١]

أ – الموسوعات ودوائر المعارف :

تُجمع الدراسات المنصفة على أن الهجوم على العقيدة الإسلامية داء قديم متأصل فى أسلاف هؤلاء الجاحدين وأخلافهم ، فهم ما تركوا بابا من أبواب الافتراء إلا سلكوه فى حربهم لعقيدة الإسلام ، ما بين تكذيب بالوحى ، وتكذيب للرسول[١٨] واتهام للمسلمين فى عقيدتهم ومنهاج حياتهم وسلوكهم ، وصولا إلى مسخ الصورة الإسلامية فى الفكر والسياسة والاقتصاد والاجتماع وكافة مناحى الحياة وتحويلها إلى صورة غربية فى المجالات الحياتية جميعها لكى تدوم التبعية للحضارة الغربية ..

وذلك كله يمكن كشفه فى يسر وسهولة بتتبع مصادر هذه المزاعم وكشف أباطيلها ، لكن الخطير فى الأمر أن هذه الادعاءات والأكاذيب يتم ترويجها للعالم على أنها حقائق علمية مجردة عن الهوى .. فالموسوعات ودوائر المعارف العالمية والتى من المفروض أنها تقدم مادة متوازنة عن المعارف الضرورية التى يحتاجها المثقف العادى والعالم المتخصص فى غير مجال تخصصه ، باعتبار أنها مصدر من مصادر الثقافة ، نجدها عكس ذلك بالنسبة لما يخص الإسلام حيث تعج بالمغالطات والأكاذيب والمفتريات ضد كل ما هو إسلامى[١٩] ..

فدائرة المعارف البريطانية Encyclopaedia Britanica فى طبعاتها المتعددة تقدم الإسلام على أنه : « يتألف أساسا من كلمات محمد الموثوق فيها ، فسوره الـ ١١٤ يرتبط بعضها ببعض بوحدانية الفكر المتناغم ، والأسلوب الذى يحمل سمة شخصية النبى التى يصعب محوها « وأن القرآن ما هو إلا « مجموعة مستقلة من الأحاديث النبوية أو المحاضرات الدينية لها طابع العظة » !!

وتتابع الأكاذيب ابتداء من إنكار أن القرآن من عند الله تعالى ، وصولا إلى تشويه التاريخ الإسلامى وديار المسلمين ، فتذكر الموسوعة نفسها - المجلد الثامن عشر وعلى الصفحة ١١٤٨ - عن مدينة الرملة الفلسطينية أنها : « مدينة إسرائيلية وهى تعنى بالعبرية (رملا) وأن أغلب سكانها من اليهود الذين هاجروا من شمال إفريقية ومن آسيا والاتحاد السوفيتى ومصر ، وأن أول من أنشأ المدينة هو الفاتح العربى السلطان سنة ١٧١٦م » !!.. مع أن مدينة « الرملة » فلسطينية منذ أن أسسها الخليفة الأموى سليمان بن عبدالملك الذى تولى الخلافة الإسلامية منذ عام ٧١٥ حتى ٧١٧م ، وأنها - الرملة - لم تقع تحت الحكم اليهودى إلا منذ احتلالها فى الحادى عشر من ابريل ١٩٤٧[٢٠]

أما « دائرة المعارف السوفيتية » فشأنها شأن الموسوعة البريطانية ؛ تقدم الإسلام على أنه (شأنه شأن الأديان

الأخرى ، يلعب دورا رجعيا ، إذ أصبح أداة فى أيدى الطبقات المستغلة لكبح الطبقة العاملة روحيا) والقرآن الكريم هو (الكتاب المقدس الأساسى للمسلمين ، ويتألف من مجموعة من المواد الدينية المذهبية والأسطورية والقانونية ، وقد وضع القرآن وشرع خلال حكم ثالث الخلفاء العرب : عثمان) !! أما الرسول ﷺ فهو (مبشر دينى يعتبر مؤسس الإسلام ، يصور فى العقيدة الإسلامية على أنه أعظم المرسلين وخاتمهم ، وهو عربى ونشأ فى مكة ، وأبعد ما أمكن الوصول إليه مما كتب عن سيرة محمد كتب فى النصف الثانى من القرن الثامن ؛ كتبه جامع للأساطير نشأ فى المدينة يدعى بن اسحق) !! .

الأمر الغريب هنا أن (دائرة المعارف الإسلامية) الموجودة بين أيدينا ما هى إلا مجموعة معارف المستشرقين وما توصلوا إليه فى مختلف الموضوعات الإسلامية ، وأصبحت تتداول فى العالم كمرجع رئيسى عن الإسلام والمسلمين منذ أن صدرت طبعتها الأولى فى أربعة مجلدات وملحق باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية ابتداء من سنة ١٩١٣م ، وقد قامت لجنة من الدكتور عبدالحميد يونس وأحمد الشنتناوى و- المرحوم - إبراهيم زكى خورشيد بالبدء فى ترجمتها إلى العربية منذ عام ١٩٤٣ وظهر منها ستة عشر مجلدا ولم تكتمل حتى الآن ..

ولا تزال الجهود الإسلامية عازمة - مجرد عزم - على

إصدار موسوعة إسلامية تتضمن مبادئ الإسلام وموقفه من الحياة والمجتمع ، مع أن تاريخ الكتابة العربية ملىء بالأعمال الموسوعية المتعددة ؛ منها : « معجم ديوان العرب » لأبى ابراهيم الفارابى ، و« تاج العروس » للزبيدى ، و« معجم الصحاح » للجوهرى ، و« لسان العرب » لابن منظور ، و« القاموس المحيط » للفيروز أبادى ، و« أساس البلاغة » للزمخشرى ، و« المصباح المنير » للفيومى ، و« محيط المحيط » للبستانى ، و« معجم البلدان » و« معجم الأدباء » لياقوت الحموى ، و« نهاية الأرب فى فنون الأدب » للنويرى ، و« صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء » للقلقشندى ، بالإضافة إلى الاجتهادات المعاصرة مثل : « موسوعة الأعلام » للزركلى ، و« معجم قبائل العرب » لعمر رضا كحالة ، و« دائرة معارف البستانى » لفؤاد البستانى .

أما إصدار موسوعة إسلامية فلا يزال الأمر مجرد « نيّة » حسنة نأمل أن تعمل على تنفيذها الهيئات الإسلامية مثل « رابطة العالم الإسلامى » و« رابطة الجامعات الإسلامية » على أن تضم خبراء من أنحاء العالم الإسلامى يقدمون المعلومة الصحيحة عن الإسلام والمسلمين فى أنحاء العالم منذ فجر الدعوة الإسلامية وحتى الآن ..

ب - التعليم المدنى وزحزحة التعليم الدينى :

تنفيذا لمخططات الغرب فى الاستحواذ على العالم الإسلامى بغير مواجهة عسكرية ، تعددت الوسائل التغريبية التى تهدم وتبنى فى وقت واحد ، فهى تعمل على إضعاف الصورة الإسلامية تمهيدا لمحوها تماما من نفوس أصحابها ، وفى الوقت نفسه تقدم الغرب على أنه البديل للحاق بركب التقدم والحضارة !..

ويعتبر سلاح التعليم الموّجه من أخطر الأسلحة الاستعمارية لتنفيذ مخططات التغريب فى العالم الإسلامى ، فقد أنشأ المستعمرون العديد من المدارس والجامعات التنصيرية فى البلاد الإسلامية والعربية التى أخضعوها لهم ، ووجهوا نظام التعليم فيها بما يخدم أغراضهم التبشيرية والسياسية والاقتصاديه . كما عملوا على زحزحة التعليم الدينى لينحصر فى نطاق الأزهر الشريف وغيره من الجامعات الإسلامية وتوجيه التهم وإطلاق الشائعات حول تخلف هذا الجامع العريق - الأزهر - لينفّض الناس من حوله ، وفى الوقت نفسه دعم نظام التعليم العام على أساس علمانى لايفرق بين دينى ولا دينى ، كى يستمر تمزيق الأمة الإسلامية ، وتجد الأفكار الهدامة مجالا خصبا فى عقول لم تتشرب أصول الإسلام من علمائه ..

وإذا كان سلاح التعليم والمدارس التبشيرية من أخطر الوسائل الاستعمارية لمحاولة تغريب المسلمين عن دينهم ، إلا أن هذا السلاح يعتبر من أحدث الأسلحة استخداما ، إذ قام على جهود المستشرقين والمؤلفين الغربيين وبعد أن مهدت له صحافة المستعمر أو الصحف الموالية له فى الدول الإسلامية الطريق ، خاصة وأن أغلب الصحف فى ديار المسلمين قد أنشأها فى البداية - مسيحيون هاجروا إلى تلك البلاد من الشام ..

وقد سارت حركة التعليم الموالية لحركات التغريب والاستشراق فى اتجاهين :

الاتجـــاه الأول :

إنشاء المدارس والجامعات التابعة رأسا للمؤسسات الاستشراقية والإرساليات التنصيرية ، فظهرت المؤسسات التعليمية الأجنبية فى الدول العربية كالمدارس والكليات وبدأت تقبل أبناء المسلمين جنبا إلى جنب من أبناء المسيحيين فكان أن تأسست عام ١٨٥٥ جمعية الشبان المسيحيين « لإدخال ملكوت المسيح بين الشبان وتلاميذ المدارس » ثم أخذ الاتجاه إلى تعضيد التعليم العالى فظهرت عدة مؤسسات تعليمية بدأت فى لبنان بـ « الجامعة الأمريكية » فى بيروت سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م ، وبعدها جامعة القديس يوسف المعروفة الآن بـ (الجامعة اليسوعية) فى بيروت أيضا .. ومثل هذه الجامعات

هدفها الرئيسى « تعلم الحقائق الكبرى التى فى التوراة وأن تكون مركزا للنور المسيحى وللتأثير المسيحى ، وأن تخرج بذلك على الناس وتوصيهم به »[٢٢] ..

هكذا ..!! وفى ديار إسلامية !! ونحن فى غفلة ، بل ساهمنا فى إشاعة صورة براقة عن مثل هذه الجامعات فى بلادنا ..

أليست الجامعة الأمريكية هى المثال والأمل لأغلب شبابنا الإسلامى !!

قد بدأت المؤسسات التعليمية التنصيرية تعم الدول الإسلامية ، ففى مصر تأسس عام ١٨٨٢م – بالتزامن مع الاحتلال الإنجليزى للبلاد – معهد علمى للتبشير تابع لجمعية تبشير الكنيسة ، وله أربعة فروع : الأول : قسم طبى ؛ والثانى : مدرسة للصبيان ؛ والثالث : للبنات ؛ والرابع : لنشر الإنجيل ، وكانت تصدر عن هذا المعهد مجلة أسبوعية وكراسات ولهم مكتبة خاصة بهم ، ثم تأتى « جمعية تبشير شمال إفريقية » التى أسست فى البلاد – مصر – معهدا عام ١٨٩٢ وركزت أعمالها فى فتح مدارس لتعليم الإنجيل بوجه خاص[٢٣] ، ثم تتابعت المؤسسات التبشيرية حتى قامت مجموعة من المؤسسات الأمريكية المساهمة فى اتحاد الجامعات الأمريكية فيما وراء البحار بواشنطون بإنشاء الجامعة الأمريكية فى مصر عام ١٩١٩ « لإدخال النظم التعليمية ومناهج الفكر

الأمريكى فى البلدان الإفريقية والآسيوية وأمريكا اللاتينية »[٢٤]

الاتجـاه الثانى :

محاولة عزل الأزهر الشريف وحصره فى نطاق الفتاوى والوعظ والإرشاد داخل المساجد ، والتقليل من شأنه ، وفى الوقت نفسه تسليط الضوء على الجامعات المدنية وغزوها من داخلها وربطها بالاتجاه الغربى فى التفكير ومناهج البحث ليفتتن الأساتذة بالغرب ويتم الترويج لاتجاهاته ترجمة ونقلا واقتباسا ، عن طريق استدعاء أساتذة من يهود المستشرقين والتمكين لهم من اقتحام أعز معاقلنا الفكرية بالجامعة ، ومن هؤلاء « يوسف شاخت » و« بول كراوس » وغيرهم ممن درّسوا لطلاب الجامعة المصرية : السامية والعبرية وفقه اللغة وأدبها المقارن وتاريخ اليهود فى جزيرة العرب[٢٥] ، وبث سمومهم تحت ستار العلمية والبحث والدراسة والمقارنة ..!!

غـارة مستمرة على الإســلام :

والغارة على العالم الإسلامى ليست تاريخا فقط ، لكنها مخططات مستمرة متشابكة تطور أسلحتها حسب مقتضى الحال ، وتستغل حاجة بعض الدول الإسلامية لتقدم لأهلها الدواء والرغيف مع الفكر التغريبى ، وقد نجحت هذه

المخططات المحكمة فى تخريج من يعتنقون أفكارها بل ويدعون إليها ، فها هى الجامعة الأمريكية فى القاهرة ترسل لاتحاد البنوك العاملة فى مصر « للتبرع لمساندة دورها واستكمال العجز فى ميزانيتها »[٢٦]!! دون أن ندرى لماذا اتحاد البنوك العاملة فى مصر بالتحديد ؟ وما هو دورها فى بلادنا حتى تساندها البنوك من أجل ذلك ؟!!..

.. وإذا كان دعاة العلمية قد نجحوا فى التغلغل داخل بعض مؤسساتنا الأكاديمية لنشر دعاواهم العرقية والسياسية والإلحادية ، إلا أن أخطر كتابين خرجا فى إطار هذه المؤسسات التنصيرية هما :

* « الثابت والمتحول » للشاعر على أحمد سعيد (أدونيس)

* Asir: True Land of the Bible « عسير الأرض الحقيقية للتوراة » للدكتور كمال سليمان الصليبى ..

فهذان الكتابان أخطر ما قدمه الفكر المناوىء للإسلام والمسلمين .. فالكتاب الأول (الثابت والمتحول) قدمه مؤلفه إلى معهد الآداب الشرقية فى جامعة القديس يوسف ببيروت لنيل شهادة الدكتوراه فى الأدب العربى تحت إشراف الأب نوّيا اليسوعى ، وقاد فيه حملة ضارية ضد العرب كجنس وعنصر وشعب ، وأنهم – العرب – شعب محاصر بين فعلين هما : (يرث ، ويقتبس) ، ويتواطأ أدونيس مع أستاذه اليسوعى

على قتل كل قيمة فى هذا التراث العربى ماعدا الخروج عن المألوف والسائد ، حتى لو كان هذا الخروج هو الإلحاد ؛ فالالحاد عنده « هو أول شكل للحداثة » !!

فهذا الكتاب الخطير بأجزائه الثلاثة ينظر للإسلام كدين ثابت ونظام جامد ، أما الإبداع - فى رأيه - فهو كل خروج عن الثابت - الإسلام - والتقاليد والأخلاق ..!!

وإذا كان أدونيس قد حقق أحلام أعداء الإسلام بكتابه الذى يمجد الانحرافات عن الإسلام والذى أهداه إلى أستاذه اليسوعى ؛ فإن الدكتور الصليبى - رئيس قسم التاريخ فى الجامعة الأمريكية فى لبنان - قد وصل إلى مالم يحلم به أعداء الإسلام والمسلمين ؛ فقد زعم فى كتابه (عسير الأرض الحقيقية للتوراة) أنه توصل إلى نظرية جديدة تقول[٢٧] « ان التوراة التى أنزلها الله سبحانه وتعالى على نبيه موسى عليه السلام فى أثناء إقامته فى جبل طور سيناء - كما يذكر القرآن الكريم - إنما نزلت فى منطقة عسير بالحجاز ، وأن نبى الله سليمان عليه السلام بنى هيكله فى ذات المنطقة وليس فى بيت المقدس »[٢٨] كما يذكر القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ فلما أتاها نودى يا موسى * إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ﴾

[طه/ ١٢]

.. أى أنه لايكفى لتصديق أن التوراة نزلت على النبى موسى فى الوادى المقدس طوى أن تكون القصة مذكورة فى القرآن الكريم ، وهذا ما يردده المستشرقون ؛ لكن الصليبى زاد على ذلك أن التوراة إنما نزلت فى المملكة العربية السعودية التى تضم الكعبة المشرفة قبلة المسلمين فى العالم ، أليست هذه فجيعة جديدة أخطر من فكرة إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ومحاولات الغرب المتكررة لهدم الإسلام ؟!!

.. الغريب جدا فى الأمر أن جامعاتنا الإسلامية على كثرتها لم تقدم الرد العلمى حول هذه الخزعبلات التى تنتشر فى طبعات متعددة ويأخذ عنها العالم كأنها حقائق مؤكدة ..!!

٣ - الصحافـــــة

الحملات المستمرة التى تشنها الصحافة العالمية ضد العالم الإسلامى هذه الأيام ليست وليدة اليوم ، ولكنها امتداد لتاريخ طويل من محاولات التشويه التى دأب بها الغرب على طمس الصورة المضيئة للدين الإسلامى وللمسلمين ، رغم ما تتذرع به هذه الصحافة من وقائع أسمتها بـ « الانفجار الإسلامى » وردَّت إليها تطورات وأحداث الفلبين وإيران وفلسطين وغيرها ..

فقد تعرض العالم الإسلامى منذ زمن - ولا يزال - لغارات إعلامية مستمرة تتمثل فى تدفق إعلامى موجه عبر وسائل اتصالية متعددة ، منها :

* **الوسائل المقروءة:** الصحف والمجلات والكتب والنشرات .
* **الوسائل السمعية :** الراديو والندوات والمحاضرات والمناقشات والشائعات .
* **الوسائل البصرية :** من لوحات فنية وحفلات استعراضية .

* **الوسائل السمعية - البصرية** : التليفزيون والمسرح والسينما .

* **الوسائل الشخصية** : المقابلات والمحادثات .

وأصبحت المواد الإعلامية المتدفقة على عالمنا الإسلامى بتكراراتها المُلحة عبر وسائل الاتصال المختلفة ؛ خاصة التليفزيون والصحافة ؛ تمثل الجزء الأكبر من محتوى هذه الوسائل ، رغم أن مضمونها - غالبا - يتناقض مع معتقداتنا ويقدم أنماطا سلوكية تختلف كل الاختلاف مع قيمنا وتقاليدنا ومفاهيمنا وثقافتنا الإسلامية ، ولم يعد خافيا على أحد أن هذا التدفق الاتصالى ؛ الناتج عن عمليات معقدة من الاختيار المتعمد وغير الموضوعى ؛ إنما يقصد به أساسا التوجيه والانقياد للغرب والتبعية له ، والكيد للإسلام والنيل منه ..

وقد ساعدت الدول الإسلامية فى ذلك دون دراية منها ، إذ قنعت بأن تبقى هدفا لسموم إعلامية تخدم أهواء ومصالح سياسية وعواطف وانحيازات دينية ، وتركت ميدان الإعلام الدولى لاحتكارات محددة لاتجد من يقّوم مسيرتها وينافسها بتقديم الخبر الصادق والرأى غير المتحيز القائم على الصدق والخبرة والبرهان والأمانة والعفة والخيرية والكمال كما يأمرنا ديننا الحنيف ، مع أن الإعلام الإسلامى تكليف وفريضة على كل مسلم بالغ عاقل ، ذكرا كان أو أنثى ، بشرط أن يقوم على علم وبصيرة ، كما فى قوله تعالى :

﴿ قل هذه سبيلى أدعُوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركينَ ﴾

[يوسف/ الآية ١٠٨]

وقوله تعالى :

﴿ نبئونى بعلم إن كنتم صادقين ﴾

[الأنعام/ الآية ١٤٣]

وقوله تعالى :

﴿ ولاينبئك مثل خبير ﴾

[فاطر/ الآية ١٤]

★ الهــدم من الداخــل :

وإذا كان الغرب بأسلحته المختلفة قد ناصب الشرق العداء منذ القدم ، خاصة الشرق الإسلامى ، باعتباره نقيضه ومكمن الخطر على مصالحه ، فإن اختراع الطباعة وانتشار الصحافة قد أعطى الغرب سلاحا جديدا أكثر خطورة وفاعلية فى تحقيق خططه والوصول إلى مآربه ، فقد تم استخدام أول مطبعة جلبها « بونابرته » معه إلى الشرق أثناء حملته على مصر عام ١٧٩٨ فى إصدار منشورات تتخذ من الإسلام وسيلة للتقرب

للمصريين ، وأصدر الغازى الفرنسى إعلانه فى الثانى من يوليو (تموز) عام ١٧٩٨ لإقناع أهالى البلاد بـ « أننا نحن المسلمون الحقيقيون » فى الوقت الذى كان يخوض فيه حروبه ضد ثلاث جبهات : انجلترا ، والباب العالى (دولة الخلافة العثمانية) ، والشرق المسلم[٢٨] .

ومع تقدم الصحافة وانتشارها سخّر الغرب هذا السلاح لخدمة أفكاره التنصيرية من ترويج لأفكار القوميات المختلفة من تركية وفارسية ، وفصل الدين عن الدولة ، وهدم الدين الإسلامى بالقضاء على لغته العربية والدعوة إلى العامية وتغذية اللهجات المحلية ، ونشر الإلحاد لإبعاد المسلمين عن الدين الذى يوحدهم ويجعلهم أمة واحدة ..

• وإذا كانت الصحافة العالمية قد كانت – ولا تزال – سلاح المستعمر وأداته لتحقيق أغراضه ؛ فإن الصحافة العربية قد فعلت الدور ذاته خاصة فى بدايتها على أيد الشوام القادمين لمصر ..

ويمثل المهاجرون الشوام فى النصف الثانى من القرن الماضى ركائز الصحافة صنيعة الاستعمار والتنصير والغزو الفكرى ، فقد كان فى طليعة هؤلاء : فارس نمر وشبلى شميل وفرج أنطون واسكندر مكاريوس وجرجى زيدان وغيرهم ، وكان من ثمار هذه الهجرة (المقتطف) التى أنشأها عام ١٨٦٨ فارس نمر ويعقوب صروف ؛ وأصبحت علاقتهما بالمحتلين الإنجليز –

فيما بعد – قوية (خاصة بعد زواج ابنة فارس نمر من المستر سمارت مستشار السفارة الانجليزية فى القاهرة) ، ثم توالت الصحف والمجلات : (المقطم) و(الهلال) ، و(الأهرام) وغيرها ، من صحافة تدعو إلى تقليد أوروبا فى علمانيتها وعزل الدين عن الحياة ..

★ **تبشير .. تحت راية الأزهر ! :**

ولم يكتف دعاة التغريب والعلمانية بنشر أفكارهم عن طريق الصحافة العامة ، بل استخدموا الصحافة المتخصصة فى إشاعة سمومهم ، فقد أنشأ شبل شميل – وهو مسيحى درس الطب فى الكلية البروتستانتية السورية – أنشأ مجلة طبية شهرية عام ١٨٨٦ أسماها (الشفاء) وظل يمارس مهنة الطب فى إحدى المدن المصرية (طنطا) عدة سنوات قبل أن يستقر فى القاهرة ويصبح أكثر كتاب عصره جرأة فى الإعلان عن أفكاره التغريبية المخالفة لما يعتقده أغلب الناس[٢٩] ..

ثم افتضحت هذه النوايا عندما خرجت مجلة باسم (جريدة الأزهر) لمهندس رى انجليزى اسمه « ويليام ويلكوكس » ، وما كانت المجلة من الأزهر فى شيء ولا معبرة عنه ، لكنها امتداد للمخطط التنصيرى التغريبى ، وسرعان ما كشفت المجلة عن وجهها ودعت – سافرة – إلى إشاعة اللهجة العامية بدلا من اللغة العربية .. !!

وقد كانت هذه المجلة – جريدة الأزهر – عند صدورها تحمل اسم (الصحة) وصدر أول أعدادها فى الأول من أغسطس ١٨٨٧م (ذو القعدة ١٣٠٤هـ) ، لمنشئيها حسن بك رفقى المفتش بمصالح الصحة العمومية ؛ وإبراهيم بك مصطفى المدرس بالمدرسة الطبية ، وقد قاما بتغيير اسم المجلة إلى (الأزهر) ابتداء من أكتوبر ١٨٨٩ حتى ديسمبر ١٨٩٢ على أساس أنها مجلة علمية أدبية ، وقد جاء هذا التغيير فى الاسم « تمشيا مع طلبات القراء بتنوع المادة وعدم اقتصارها على الموضوعات الطبية » و« تيّمنا بالجامع العريق – الأزهر – المكان الأول والجامع الذى جمع ضروب وأنواع العلوم »(٣٠) ..

وفى ديسمبر من عام ١٨٩٢ أعلن ويليام ويلكوكس انتقال امتياز مجلة الأزهر إليه منذ بداية العام الجديد – يناير ١٨٩٣ – وطالب المهندسين أن يشاركوا فى تحريرها ، ولم يغير اسمها القديم (الأزهر) حتى يبقى الانطباع عنها أنها تنطلق من منطلقات إسلامية ، مع أنه – ويلكوكس – قد أفصح عن أغراضه منذ العدد الأول الذى آلت فيه المجلة إليه ، وبدأ دعوته المتكررة والمُلحة لهدم العربية لغة القرآن الكريم ، وإحلال العامية المصرية محلها .. !!..

وبدأ يدلل لدعوته التى بدأها بمحاضرة فى حفل ثم نشرها بعد ذلك تحت عنوان : « لِمَ لَمْ توجد قوة الاختراع لدى

(السنة السادسة)

(العدد العاشر) دسمبر سنة ١٨٩٣

جريدة علمية أدبية

أسسها حضرتا ابراهيم بك مصطفى وحسن بك رفقى



أعطنى الحرية فى أن أعلم وأتكلم وأتباحث حسب ما تخصنيه من الذمة وأعطيته من الحرية . وإذا كانت كل أرياح المذاهب تهب على وجه الأرض وكانت الحقيقة موجودة معها فمن العبث أن نمنع ظهورها ونحجزها خوفا من انهزامها . فلنترك الحق يحارب الكذب فإنه لم ينظر أحد أن الحق انهزم إذا انفسح له المجال . ومن يجهل من الخلق أن أكبر شئ بعد الله هو الحق فإنه لا يحتاج فى انتصاره إلى السياسة والحيل بل تلك الأمور هى طرق الدفاع التى يستعملها الكذاب لإخفاء الحق

ميلتون

تصدر أول كل شهر

لمنشئيها

وليم ويلكوكس أحمد الازهرى

(قيمة الاشتراك)

سنة واحدة	وعن ستة أشهر	وعن كل عدد
٧٥	٤٥	١٠

فى القطر المصرى وفى الخارج يزاد فى كل عدد قرش واحد

تلامذة المهندسخانه وتلامذة ديوان الاشغال ترسل اليهم هذه الجريدة مجانا عند طلبهم

المراسلات ترسل باسم أحمد الازهرى بديوان الاشغال ولابد أن تكون ممضاة باسم صاحبها خالصة الاجرة

المصريين الآن » قال فيها إن اللغة العربيةو كلامها « مثل الجبال وفى آخر الأمر لايلد هذا الكلام الصعب إلا فأرا صغيرا » .

ثم يوصى المصريين قائلا : « إذا جنحتم إلى هذه اللغة الدارجة القوية الشهيرة فيما بينكم ، وتركتم هذه اللغة الضعيفة تنجحون كثيرا بسبب أن اللغة التى تتكلمون بها هى قلب اللغة ، والتى تكتبونها كالملابس لها » ، ورغم الإلحاح المتكرر من ويلكوكس لاستخدام العامية فى الكتابة إلا أن دعوته لم يكتب لها أى نجاح فكان أن توقفت المجلة ، ولكنه لم يتوقف عن محاولاته وبدأ يترجم الإنجيل إلى اللهجة العامية المصرية ثم كتب عدة دراسات عن أن مصر والبلاد العربية لا تتحدث العربية الفصحى وأن السبيل لنجاح هذه الدول هو استخدام اللهجات المحلية ..!!

★ اتجاهات متعددة :

وإذا كانت دعوة ويلكوكس للقضاء على اللغة العربية لم تحقق نجاحا ، إلا أنها لم تمت نهائيا ووجدت من يجددها ويطورها ، فها هو الألمانى « ولهلم اسبتا » الذى أشرف على مكتبة الخديوى فى مصر يصل لأكثر من ذلك ويدعو لاستخدام الحروف اللاتينية فى الكتابة وكتب كتابا فى هذا الشأن يطالب فيه استخدام العامية فى الكتابة ، على أن تكتب بحروف لاتينية حيث إن العربية الفصحى لايمكن أن ينمو معها

أدب حقيقى ويتطور ، ولا مانع « أن تبقى اللغة العربية الفصحى لغة الصلاة والطقوس الدينية فقط »[٣١]!! والهدف من ذلك واضح جدا ويتمثل فى عزل الدين عن أمور الحياة وقصره على العبادات فقط بدلا من أن يكون منهاج حياة وعمل ..

واستمرت الدعوة لإشاعة العامية تتجدد مع مرور السنين ولم تخمد نارها ، والجديد فى الأمر أنها تثار الآن على ألسنة المستشرقين وبعض دعاتها من العرب أنفسهم أمثال سلامة موسى الذى اقترح عام ١٩٣٥ كتابة اللغة العربية بالأبجدية اللاتينية مبررا ذلك بحجتين :[٣٢]

١ - إن هذه الأبجدية أكثر سهولة ويسرا .

٢ - إن هذا التغيير سوف يساعد مصر على إتمام عملية تحديثها ، ويشعر المصريين بأنهم جزء من الغرب .

ولم ينكر سلامة موسى أن دافعه لذلك انتماؤه لأقلية مسيحية .. !!

كذلك الدكتور لويس عوض والذى دخل هذا المجال منذ صدور ديوانه الأول - والوحيد - (بلوتولاند) عام ١٩٤٧ ، وطالب فى مقدمته « بثورة أدبية هدفها تحطيم لغة السادة وإقرار لغة الشعب العامية أو الدارجة أو المنحطة » وحتى كتابه (فقة اللغة العربية) الذى صادرته الحكومة

المصرية .. ويوسف الخال وسعيد عقل فى لبنان ، والدكتورة فاطمة المرنيسى فى المغرب .. وغيرهم وغيرهم ..

ويتذرع هؤلاء بحجج ظاهرها الغيرة على العقل العربى وتجديد اللغة العربية ، وباطنها التخلص من الدين الذى - فى زعمهم - يقّيد الفرد ويمنعه من الانطلاق والتحرر !!

لقد كانت أغلب الصحف بوقا للمستشرقين وتلاميذهم لهدم اللغة العربية وإشاعة المفتريات ضد الإسلام ، ونشر المذاهب المادية الإلحادية تحت شعارات : « الحرية » ، هذه الكلمة التى أصبحت تحمل تفسيرات مختلفة فى إطار : « عمل مايجيزه القانون » و« الديمقراطية » التى هى « حكم الشعب ، بواسطة الشعب ، من أجل الشعب » والتى أسىء فهمها حتى صارت عازلا سميكا بين الخلق والخالق ، ووجد فيها العلمانيون سندا قويا للتخلص من الدين[٣٣] ، ونتج عن هذه الدعاوى تحول الكثير من المثقفين والمشاهير - خاصة فى بداية هذا القرن - إلى الانحياز للتحديث على النمط الغربى وحجتهم فى ذلك :[٣٤]

ـ الصورة القاتمة التى رسمها الغرب للإسلام فى صورته المملوكية والعثمانية المثقلة بالبدع والخرافات والجمود .

ـ تبنى النمط الغربى فى التحديث للتسلح بأسلحة الغرب الحضارى ثم مواجهة الغرب الاستعمارى .

والانسياق وراء ذلك إنما هو نسيان للصورة الإسلامية الزاهرة – فى عصر المماليك – عندما تم صد جحافل التتر والصليبيين عن اجتياح العالم الإسلامى ، وظُلم بيِّن للدولة العثمانية التى تآمرت عليها أوروبا المسيحية حتى أسقطتها ..

إن الصحافة التى تقدمت وازدهرت فى حاجة إلى قيم أخلاقية وسلوكية تجعلها تلتزم بمبادىء إعلامية حتى لاتنحاز فى تناولها للأنباء ، هذا الانحياز الذى يصل إلى حد الانتقاد والتشويش والتحريف ..

ووجود صحافة إسلامية تعمل فى إطار من القيم هو الحل الوحيد حتى لايبقى المجال كله لوكالات أنباء عالمية وصحافة متعددة وإذاعات دولية تخترق الحواجز وتروج لأفكارها وتشوه صورة المسلمين فى الغرب وداخل البلاد الإسلامية نفسها وتوابع صناعية للاتصالات لانستطيع التحكم فى بثها ..

ووكالة أنباء إسلامية هو مقدمة لإعلام متوازن يقوم على الصدق ولايفرض بالقوة ولايصطنع العنف ، وإذا كان هذا الحلم قد قدأ يتحول إلى حقيقة منذ أن اقترح « مؤتمر العالم الإسلامى » المنعقد فى كراتشى عامن ١٩٥٠ إنشاء وكالة أنباء دولية للإسلام ، ثم إقرار مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد فى جدة (فى فبراير ١٩٧٤) لدستور الوكالة وأهدافها ، إلا أن هذه الوكالة الناشئة فى حاجة إلى دفعة دعم

قوية تجعلها قادرة على الصمود فى وجه التكتل الإعلامى الدولى الذى لاينشر إلا ما يتناسب ومصالح الدول الكبرى ، فى - الوكالة الإسلامية (ايتا) - فى حاجة إلى دعم مالى وفنى وخبرات وتقنية اتصالات لتستطيع تأدية الدور المأمول منها ، فلا يعقل أن يقنع المسلمون الآن بكونهم مجرد مستقبلين لما تلتقطه أجهزة اللاسلكى وقوافل الطائرات التى تستأجرها شبكات الإذاعات والصحف العالمية لتغطية حرب الخليج - على سبيل المثال - ونترك المجال لها لتربط كل عنف ودم واضطراب ومصادمات الإسلام ، مع أن القرآن الكريم - دستور الإسلام - لم يذكر الغلظة والشدة إلا فى موضعين :(٣٥)

١ - فى قلب المعركة ومواجهة الأعداء ، فى قوله تعالى : ﴿ قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ﴾

[التوبة/ ١٢٣]

٢ - فى تنفيذ العقوبات الشرعية على مستحقيها ، حيث لا مجال للرحمة فى إقامة حدود الله ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ ولاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾

[النور/ ٢]

فالإعلام فى الإسلام – وبالتالى قيام وسائل اتصال إسلامية – فريضة وتكليف ، وعلينا أن نقف فى وجه من يحاولون تشويه صورتنا الإسلامية ..

٤ - التأليف القصصى العالمى ودوره فى تشويه صـــورة المســـلمين

مع أن الإسلام فى نظرته للعلاقات الدولية لايعترف بانقسام العالم إلى كيانات سياسية لكل منها نطاقها القانونى فى العيش ، بل يهدف إلى توحيد بنى البشر فى ظل نظام قانونى واحد هو الشريعة الإسلامية حيث التوحيد والتشريع السماوى الذى لايظلم أحدا ؛ والمسئولية وإشاعة قيم الخير والحق والجمال والحرية وغيرها ، إلا أن محاولات الغرب المستمرة لهدم الدين الإسلامى وقهر المسلمين لم تترك وسيلة من الوسائل إلا طوعتها لهذا الهدف .

فقد تم استخدام نسبة كبيرة من التأليف الأدبى لكبار كتاب الغرب كإحدى وسائل التنصير لإعطاء صورة مشوهة عن الواقع الإسلامى والشخصية المسلمة ، ورسم هذا النوع من الأدب نموذجا للشخصية المسلمة يعتمد فيه على ما ذكره الرحالة والمستكشفون ، بالإضافة إلى رؤى وخيالات الذين اصطدموا بالشرق خلال الحروب الصليبية أو عرفوا - على البعد - قوة الإسلام الذاتية وتمسك أتباعه به .

وفى هذا الاتجاه شاعت روايات متعددة أخذت اهتماما كبيرا من النقاد العرب ، واشتهر مؤلفوها بدرجة كبيرة جدا وأصبحت أعمالهم هى المثال الذى يحتذى لمن يريد أن يسلك اتجاه التأليف أو حتى يرغب فى القراءة ، وكل كلمة يرددها هؤلاء تدخل دوائر المناقشة والتنظير والجدل باعتبار أصحابها يتمتعون بجاذبية شخصية ناتجة عن شهرة إبداعاتهم ، ووقفت الهالة التى يتمتع بها هؤلاء أمام ما يمكن أن يتطرق إليه البحث فى أعمالهم من انحياز لثقافاتهم الغربية وتفضيلها على الثقافات الأخرى ، وعنصريتهم الواضحة وعدائهم الشديد وغير المبرر للشخصية الإسلامية والعربية بشكل خاص .

فقد ظهرت عشرات الدراسات - على سبيل المثال - عن تأثير الإسلام فى « الكوميديا الإلهية » لدانتى دون أن تشير واحدة منها إلى موقف مؤلفها - دانتى - من الإسلام ومن نبينا محمد ﷺ ، فشخصية دانتى وشهرة « الكوميديا » وقفا حاجز صد بهدف حجب تعصب المؤلف لمسيحيته ورميه الإسلام ورسوله وأعلامه بالكذب والخداع والتضليل ، فدانتى اليجيرى (١٢٦٥ - ١٣٢١م) قد أوجز الصورة الشائعة عن عصره وكل نواحى مسيحية القرون الوسطى فى « الكوميديا » التى كتبها بأسلوب شعرى فى ثلاثة أجزاء : الجحيم والمطهر ، والفردوس .. وصوّر الجحيم على هيئة حفرة عميقة مخروطية الشكل ؛ تنقسم إلى تسع مناطق خصصت كل

واحدة منها لإحدى الخطايا ، وقد وضع دانتى النبى ﷺ وعلى بن أبى طالب فى قاع الجحيم ، حيث يتم التمثيل بجسديهما نظرا لما بذراه هما وأتباعهما من انشقاق فى جسد الكنيسة ، ثم يصف المؤلف على مدى صفحات ما يحل بالنبى - الكريم - من صنوف العذاب على نحو متكرر لاينتهى .. وعندما تم ترجمة هذا العمل إلى اللغة العربية يكتفى المترجم بحذف هذه المزاعم والمفتريات بدلا من ترجمتها والرد عليها وكشف التعصب الأعمى من جانب دانتى لمسيحيته ضد الإسلام ..

ونلاحظ أن دانتى عندما وضع القائد المسلم صلاح الدين الأيوبى فى مكان أسماه الشفا Limbo « مخصص لأرواح الأطفال الذين يتوفاهم الله قبل أن يعمدوا » فإنما كان متأثرا بالإعجاب الشديد والواسع الانتشار بين الغربيين أنفسهم عن هذا القائد الذى يشن الحرب بإنسانية وفروسية ، رغم قلة من بادلوه هذه المواقف فى قلب المعارك(٣٦) هذا الإعجاب الذى ارتكز إلى تبرير مختلق يقول إن صلاح الدين الأيوبى يرجع إلى أصول أوروبية ، لأن فارسا من هذا الطراز الرفيع يجب بالضرورة أن يصبح منتميا إلى الأسرة المسيحية ، ووصل الأمر بالزعم أن البطل المسلم أمه هى الكونتيسة « بونثيو » التى تحطمت سفينتها على الساحل المصرى ، وأنه اعتنق المسيحية وهو على فراش الموت !!

وتنوعت الكتابات الأدبية من شعر وقصة ومسرح ، ودار عدد كبير منها بشكل مباشر حول الإسلام والنبى ﷺ والمسلمين ، وقد جاءت هذه الكتابات وفى أذهان مؤلفيها المحددات الدينية والثقافية التى شاعت فى الغرب عن الإسلام ، فها هو « جون لدجيت » - ١٣٧٠-١٤٥١م - يحشر الأساطير التى كانت سائدة فى زمانه عن رسولنا الكريم ، ويضمنها قصيدته التى أسماها : « عن محمد النبى المزيف وكيف أكلته الخنازير وهو سكران » ! ، وكتب « كرستوفر مارلو » مسرحية (تيمور لنك الكبير) عام ١٥٨٧ واستقبلها الغرب بعاطفة شعبية سائدة باعتبارها تقدم البطل الذى يقدم العون غير المباشر للمسيحيين بتغلبه على الاتراك ، ومسرحية جون درايدن (دوت سباستيان) عام ١٦٩١ التى تحسم الصراع لصالح المسيحية وارتداد أبطالها إلى دينهم الأصلى : المسيحية ..!!

أما فى القرن الثامن عشر فقد ظهر نوع جديد من الروايات يشيع فيها أن الشرق - والبدائى بشكل عام - تتحسن شخصيته وعاداته بالاتصال بالأوربيين ، وكان هذا الاتجاه - ولايزال - معضدا للغزو الاستعمارى لكثير من دول العالم[٣٧] ، فباحتلال أجزاء متعددة من الدول العربية تعددت القصص ومؤلفات المغامرين والمستكشفين التى تصف جهل الشرقيين وإرجاع ذلك إلى الدين الإسلامى ، وترجمت

حكايات أسطورية عن (الشاطر حسن) و(الشاطر محمود والجنيّة) ، و(ألف ليلة وليلة) لتصوير الشرق المسلم على أنه يعيش فى وهم ويؤمن بالخرافات ويكره العمل كما يذكر لورانس فى كتابه (ثورة فى الصحراء) الذى ضمنه مشاهداته ورؤاه لبعض البلاد العربية[٣٨]

خـــداع فـنى :

ومع تقدم الطباعة وفنون النشر عمدت المؤسسات الأدبية العالمية - وبإصرار - على ترشيح أعمال معينة للشهرة والذيوع تمجد قيمة الغرب وتحط من قيم الآخرين ، ففى رواية (بوابة مندلبوم) للكاتبة الانجليزية إيرس ميردوخ نجد المؤلفة تُلصق بالعربى الرذائل التى يدينها المجتمع الغربى من كذب وخداع وخيانة وغيرها[٣٩] ..

ويصل التعصب الدينى مداه فى أعمال الكاتب اليونانى كازانتزاكيس (٨ ديسمبر ١٨٨٥م / ١٨ اكتوبر ١٩٥٧) حيث تعج أعماله المتعددة : (المسيح يصلب من جديد) و(الكابتن ميخايلسى) وغيرهما بكراهية شديدة للأتراك وللإسلام بشكل عام ، فهذه الأعمال امتداد للصورة المشوهة التى يبثها الغرب عبر الوسائل المتعددة عن الشرق المسلم كجزء مناقض له يجب تطويره ..

ولايخرج كازانتزاكيسى فى إبداعاته عن تصويره صراعا بين المسيحية فوق جبل آتوس – حيث اعتزل هو فى بداية حياته عامين فى دير للرهبان – وبين المسلمين الأتراك « الغزاة » كما يقول ، فمنذ أول سطور روايته (المسيح يصلب من جديد)[٤٠] يرسم المؤلف صورة غير منطقية للعمدة المسلم حاكم قرية « ليكو فريس » وحوله حرسه الخاص ، وعن يساره تربع غلام تركى وسيم فى خديه غمازتان ، يمد يده بين الحين والحين ليشعل النارجيلة أو يملأ كأس العرق ، ولا تفكير لهذا الحاكم التركى المسلم إلا فى الخبز واللحم إذا جاع ، وفى العرق إذا عطش ، وفى السوط ليلهب أعجاز الرعايا إن غضب ، وعند اكتئابه فقد خلق الله له أغانى : آمان ، آمان ، أما إن شاء أن ينسى أحزان الدنيا وهمومها فقد خلق له الله غلامه « يوسوفاكى »[٤١] !!

وهكذا فى سرد فنى براق خادع يبث كازانتزاكيس سمومه وأحقاده ضد المسلمين الأتراك فى صورة « الأغا مسلوب اللب الذى لا هم له فى الدنيا إلا الغلام الجميل وهو يسحب اللبانة من فمه ويلصقها على ركبته العارية »[٤٢] ، وعندما يجد الأغا غلامه مقتولا تكون الكارثة ويلوّح بمسدسه ويطلق النار على كل ما تبصره عينه ، ويحطم كل ما تصل إليه يده ، ثم يلقى بنفسه فوق جثة يوسوفاكى – غلامه – وينخرط فى نواح وعويل »[٤٣] !! .. ولكن ما يكاد نهار اليوم التالى ينتصف

حتى يرى أهل القرية الأغا عائدا وخلفه غلام تركى جديد اسمه براهيماكى ممتطيا صهوة مُهر كستنائى ، ثم يسلمه إلى يد - شيخ - تركى من أصدقائه القدامى ليعلمه بعض الحيل »(٤٤) !!

وحول الموضوع نفسه - تشويه صورة الإسلام والمسلمين - تدور رواية كازانتزاكيس « الحرية والموت »(٤٥) ، ولا يتغير إلا أسماء أبطال العمال ، لكن الرموز واحدة والهدف واحد أيضا ، وهو محاولة تدمير صورة الشخصية المسلمة والنيل منها وتشويهها ، حيث يرسم صورة لـ « نورى بك » العمدة المسلم لقرية « ميجالو كاسترو » لاتختلف كثيرا عن صورة عمدة القرية الأخرى ، فهو يقدم زوجته الشركسية لترقص أمام ضيفه اليونانى ، ويرتكب الموبقات كلها ..

ثم يعرج المؤلف ليدس سموما ضد النبى ﷺ على لسان الحاكم المسلم الذى يداعب زوجته قائلا : « فى صحتك يا أمينة ، هناك ثلاثة أشياء قال لى المؤذن إن الرسول عليه السلام يحبها : الرائحة الطيبة ، والمرأة ، والغناء »(٤٦) !! .. وعيب هذا الدس والتشويه المتعمد لصورة نبينا الكريم وخطورته أنه يقدم فى صورة عمل فنى دون مباشرة ، فبعد مئات الصفحات وآلاف الجمل الأدبية الأخاذة لاتخرج من الرواية إلا بصورة مشوهة للمسلم ، وفى المقابل يقدم المؤلف صورة مخالفة تماما للبطل اليونانى ميخايلس « الجدير بلقب

(الخنزير البرى) لكثرة ما يتصف به من ثورات الغضب » والذى « اقسم ألا يحلق لحيته حتى تتحرر كريت من الأتراك » فهو من شدة حقده على المسلمين الأتراك يغيظهم بالغناء فى وجوههم « الموسكوف – أى الروس – قادمون »[٤٧] حيث إن الإلحاد واللادينيين أفضل عنده من الإسلام ، ويشجع أهله على البقاء فى حداد حتى يزول الاحتلال التركى من كريت ومن اليونان ومن أوروبا كلها ..

وتستعرض الرواية بطريقة غير مباشرة ثورات كريت ضد الأتراك أعوام ١٨٥٤ و١٨٦٦ و١٨٧٨ حتى ينهيها المؤلف لصالح المسيحية برصاصة يطلقها البطل الكريتى على مؤذن القرية العجوز لتخترق منه تفاحة آدم وتنبثق الدماء ويهوى المؤذن بعمامته الخضراء إلى الأرض[٤٨] .. والرمز لايحتاج هنا إلى توضيح : فالمؤذن هو – الاحتلال – التركى كما يراه المؤلف ، والأتراك لابد سيتم إبعادهم عن أوروبا كما تقول كلماته بنصها ..

أليست هذه العنصرية البغيضة – مهما غطتها رتوش فنية أخاذة وساحرة – هى أبعد ما تكون عن سمات الأدب الإنسانى الذى يدعو إلى قيم الخير والحق والجمال والحرية دون تعصب أعمى ؟

قد ينبرى أحد هؤلاء النقاد ويقول : إنها رؤية أدبية .. لكن إذا كانت هذه الرؤية لاتخرج عن تعمد صارخ لتشويه الإسلام

فليس هذا هو الأدب الإنسانى ، وإنما هى عنصرية بغيضة وكراهية ..

قس على ذلك ، ذلك السيل من الأعمال الروائية التى تقف خلفها مؤسسات عالمية بقصد ترسيخ الصورة المشوهة عن المسلمين ، وفى الوقت نفسه إظهار التعاطف مع المبشرين المسيحيين وتبصيرهم بالواقع الشرقى ليسهل غزوه وتبعيته للغرب .. ومن هذه الأعمال رواية (القديس البائس فى بومبا)[٤٩] للكاتب الكاميرونى « مونجو » صاحب (البعثة إلى كالا) و(الملك لازاروس) وغيرها .. ورواية (الفراشة)[٥٠] للفرنسى هنرى شاريير والتى يقدم فيها تجربة سجين اسمه (ديغا) فى أحد سجون فرنسا وكفاحه الشاق للتخلص من سجنه ، لكنه يقحم على العمل مايشوه صورة العربى ويحط من قدره ، فهو يصوره على أنه : جشع وقواد ولص وغير ذلك من صفات وسلوكيات غير سوية لايقرها الإسلام بل يعاقب عليها .. فالبطل « ديغا » يحذر زميله فى السجن قائلا : « هناك ثلاثة من العرب يقتفون أثرى باستمرار ، لهذا السبب لم آت لرؤيتك حتى لا أثير الظنون بأننى على علاقة معك كلما ذهبت إلى المراحيض ، ففى الليل أو النهار يأتى واحد منهم – العرب – فأريه جهارا وعلانية – دون أن أظهر العمد – أننى لا أحمل شيئا ، ومع ذلك لم يكفوا عن مراقبتى »[٥١] .

ويكشف المؤلف عن جرائم ترتكب ضد العرب عندما يسأل واحد رفيقيه عن جريرتهما ، فيقولا : « أطعمنا عنزا للنمل آكل اللحوم » ثم يوضحا له ما غمض وهو « أنهما يقصدان بالعنز رجلا عربيا أسمر. »[٥٢] !! والحال نفسه يتكرر فى أعمال « ف.س. ينبول » (انعطاف فى النهر) و« جون ابدايك » (الانقلاب) وصولا إلى قصص الأفلام العالمية - خاصة الصهيونية - التى لم تخرج عن إطار الدس ضد الإسلام والمسلمين والعرب بصفة خاصة ، فهى تقدم العربى كما فى حكايات (ألف ليلة وليلة) تحوطه الشهوات والحكايات المثيرة ، أو فى صورة غامضة شريرة متعصبة يهدد بخطف المرأة الغربية على حصانه[٥٣] !! أو تزوير التاريخ والتبشير بأرض الميعاد منذ أن بدأت موجة الأفلام الصهيونية الدعاية المباشرة عام ١٩١٢ بفيلم أخرجه ترودوف (حياة اليهودى فى أرض الميعاد) ، وفيلم باروخ أجاداتى عام ١٩٣٢ باسم (ها هى أرضك) ونشاطها بعد ١٩٦٧ لتقدم الأراضى العربية بأسماء عبرية فنشاهد جبل الشيخ يقدم باسم (أوفيرا) ودير البلح باسم (كارديزون) .. وهكذا ، وليس على العرب - كما تقول هذه الأفلام الدعائية - سوى قبول العيش وفق الأسلوب الإسرائيلى .. !!

إنها موجة محكمة من التأليف الأدبى الذى يغزو عقولنا تحت أساليب براقة خادعة ، وهى فى حقيقتها حلقة من الحلقات

الاستعمارية التى تحاول سلبنا هويتنا الإسلامية وقوتنا الذاتية النابعة من إيماننا القوى بالله سبحانه وتعالى ..

وعلينا أن نحذر الأساليب الخداعة كلها ، حتى وإن تسترت فى ثياب أدبية براقة ، وأن يكون لنا أدبنا الإسلامى الذى لايرتبط بعصر دون عصر ، والذى يرتكز إلى القيم النابعة من ديننا القويم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ليكون هذا الأدب أحد المقومات الأساسية لبناء حياة كريمة جديرة بأن تعاش ..

تحرك إعلامى إسلامى .. كيف ؟ :

إذا كانت المسئولية تمثل روح الفلسفة الإعلامية فى الإسلام ، فإن هذه المسئولية فى صورها المتعددة وحقيقتها الواحدة[٥٤] تفرض علينا أن نسلح أنفسنا بسلاح المعرفة المستمدة من مبادىء ديننا ووفق معاييره الثابتة ، فهذه المعرفة هى التى تؤهلنا لتحمل مسئولية الإعلام عن الإسلام لتكون كلمة الله هى العليا ..

إن الإعلام عن الإسلام بعيد كل البعد عن الجدال الدائر منذ سنوات حول « حق الاتصال » و« التدفق الحر للمعلومات » مروراً بـ « التدفق الحر المسئول » إلى « التدفق الحر المتوازن » ، فالاتصال الإسلامى ليس أداة سياسية فى يد

دولة من الدول ، بل يختلف كل الاختلاف عن أية نظرية إعلامية ، فهو نابع من الدين ومعبر عنه ويعمل على ترسيخه فى نفوس البشر ، وهو موجه إلى الناس جميعا وليس إلى جنس دون آخر أو طائفة دون أخرى .. وهو إعلام يعرف لله حقه ويؤدى هذا الحق إذ يقوم على إعلاء كلمة الله والاهتداء بشريعته .. ، ونظرا لأن الإعلام الإسلامى يرتكز إلى أصول ثابتة مستمدة من القرآن الكريم حيث المصدر الأساسى للمعرفة فى الإسلام ، بالإضافة إلى السنة النبوية المطهرة ، فهو لايتغير فى استراتيجيته حسب هوى أو غرض ، وإن كان يستخدم تكتيكات متعددة تفرضها ظروف الرسالة وجمهورها لتحقيق أهدافه ..

وكما أننا نُعلم عن الإسلام فعلينا أيضا أن نحصن المسلمين ضد هذا الانفجار الإعلامى الذى يغمرنا ليلا ونهارا ، ويقتحم حياتنا دون حواجز بقصد تغيير سلوكياتنا وصياغاتها صياغات محددة سلفا كما حددها أصحاب هذه الرسائل الإعلامية وموجهوها ..

والقائم بالاتصال فى الإعلام الإسلامى يجب أن يعرف مكونات العمنلية الإعلامية التى هو أحد أطرافها ، فإذا كانت الحقائق الإسلامية لاتتغير من زمن إلى زمن ولا من مجتمع إلى آخر ، إلا أن صياغة هذه الرسالة يجب أن تتناسب مع

الشخص (أو الجمهور) الموجهة إليه لإحداث التأثير المطلوب ..

فالإعلام الإسلامى لايجب أن يقف عند حدود المسلمين فقط ، لكنه يتعدى ذلك إلى غير المسلمين من أصحاب الكتاب واللادينيين ، وهذا كله يجعل القائم بالاتصال يجب أن ينطلق من الواقع لتحقيق المثال وليس العكس ..

هذا التنوع والتعدد فى جمهور الإعلام الإسلامى يتطلب استخدام الوسائل الاتصالية المتعددة الموجوده وتطويع محتواها لخدمة الدعوة الإسلامية ، حيث إن لكل وسيلة من تلك الوسائل مميزاتها التى تنفرد بها عن غيرها[٥٥] ..

فإذا كانت الخطبة المنبرية لاتزال أعمق أثرا فى نفوس مستمعيها وأكثر فعالية من أية أحاديث توجه عبر وسائل الاتصال ، إلا أن جمهورها غير الكبير يجعلنا نبحث عن كيفية الاستخدام الأكثر انتشارا لها - الخطبة - مع المحافظة على قوة تأثيرها ..

وإذا كانت القراءة نشاطا مركزا تركيزا شديدا وله تأثيره الكبير ، لكن قليلا من الناس هم الذين يقرأون ، فذلك يدفعنا للتفكير فى استخدام الوسائل المطبوعة الميسرة والتى تنتشر على نطاق كبير ..

أيضا لا يمكن إغفال أهمية الإذاعة (راديو وتليفزيون) التى تقتحم منازلنا لتبث رسائلها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة والتى تتأثر بها – أيضا – بطريقة مباشرة أو غير مباشرة[٥٦] فهذه الوسيلة الخطيره والمؤثرة – الإذاعة – يجب استغلالها فى نشر مبادىء الإسلام والتعريف به وموقفه من القضايا الحياتية المعاصرة حتى يتبصر الإنسان بما يجب أن يقوم به لينال رضاء ربه ولتساعده فى التعامل مع بيئته والاستجابة لمتطلباتها والاستفادة من خيراتها وتجنب مخاطرها ..

الصحافة أيضا كجهاز خطير مؤثر يجب أن تتناول مايهم الناس ويتصل بحياتهم فى مجالات الحياة كافة وفق تصور إسلامى ، والخطير فى الأمر أن تبتعد أغلب الصحف التى تصدر فى بلاد إسلامية ويحكمها دستور إسلامى ؛ عن الخط الإسلامى ويقتصر الأمر على بعض الصحف التى تعلق لافته تعلن أنها (إسلامية) !! .. فمادامت هذه الصحف تصدر فى بلاد إسلامية يحكمها دستور إسلامى فعليها الالتزام بمنهج الإسلام فى الإعلام ، هذا المنهج القائم على تبصير المسلمين بدينهم ودعم القيم الإسلامية والمحافظة عليها والتعاطف مع قضايا المسلمين وخدمة الحق وتزيينه للناس ، والدفاع والرد على كل مايثيره الأعداء من أكاذيب وشائعات للتشويش على المسلمين ومحاولات النيل منهم ..

لقد تعددت مؤتمرات الدعوة والإعلام الإسلامى ، وتعددت أجهزة الدعوه فى الدول الإسلامية ، ورغم ذلك فالقرارات هى القرارات والحال هو نفس الحال : إسلام ثابت الأصول صالح لكل زمان ومكان ، وإعلام ليس على المستوى المطلوب لنشر الدين فى بقاع الدنيا .. وهنا ؛ نؤكد على نقاط جوهرية فى العمل الإعلامى الإسلامى :

ـــ ضرورة الانطلاق من الواقع لتحقيق الأمثل فى الإعلام الإسلامى ، أى تكيف الرسالة وصياغتها وفقا للجمهور الموجهة إليه بعد دراسة هذا الجهور ، ومعرفة خصائصه وثقافاته وعاداته .. فالرسالة الموجهة إلى مسلم يعرف أصول دينه تختلف حتما عن رسالة ستوجه إلى حديث عهد بالإسلام ، وهذه بدورها تختلف عن ثالثة موجهة إلى أهل الكتاب ، والأخيرة تختلف بالقطع عن رسالة هدفها التعريف بالإسلام للا دينيين أو الذين لم يسمعوا عن الإسلام ..

فالمسلم الذى يعرف تعاليم دينه ليس فى حاجة إلى شرح فرضية الصلاة أو الزكاة أو الحج - عند الاستطاعة- مثلا ، كما أنه شديد الثقة بالمصدر وبالإسناد وبالنقل ، بعكس غير المسلم الذى يهمه معرفة هذا الدين وأركانه وإعمال الدليل العقلى للتفكير والمقارنة وصولا إلى الإقناع ..

ـــ الاهتمام بأركان العملية الإعلامية دون إهمال أى جانب على حساب الآخر ، فكما أننا نهتم بالرسالة الإعلامية وتكييفها

وصياغتها لتلائم الجمهور الموجهة إليه ، فلابد من الاهتمام أيضا بالجوانب الأخرى ..

* فالجمهور المستهدف من العملية الإعلامية يجب أن تدرسه الجهة القائمة بالاتصال وتعرف خصائصه والمؤثرات التى يمكن أن يستجيب لها وغير ذلك ، وذلك كله يتأتى من الانطلاق من الواقع للوصول إلى الهدف ، هذا الواقع الذى يجعلنا نبحث عن استمالات متعدده لإشراك الجمهور فى العملية وتقبلها ..

* والوسيلة الاتصالية أيضا لها دور هام جدا ، فإذا كان تاريخ نشر الإسلام يؤكد أن هذا الانتشار إنما يرجع فى أساسه للقوة الذاتية لهذا الدين الحنيف ، إلا أن بعض خبراء الاتصال - مارشال ماكلوهان - يعطى أهمية كبرى للوسيلة لدرجة أنه يعتبر أن « الوسيلة هى الرسالة » ، وهذا - وإن كان لاينطبق على حالة انتشار الإسلام - إلا أنه يصدق بدرجة كبيرة وسط تعدد قنوات الاتصال وتعدد الرسائل الاتصالية والإغراق بالمعلومات ..

* رجل الإعلام الإسلامى الذى أثبتت الدراسات يتمتع بالثقة فى أذهان الجمهور (المستهدف وغير المستهدف) يجب أن يكون قدوة فى إيمانه بدينه وبرسالته سواء إعلانا بالقول أو سلوكا بالعمل ، هذا إلى جانب معرفة بالوسيلة والرسالة

والجمهور الذى يخاطبه ، وجرأته فى الحق ، ودأبه ومثابرته فى الوصول إلى قلوب جماهيره ..

ـ التنسيق بين أجهزة الدعوة والإعلام داخليا وخارجيا ونبذ الخلافات السياسية أو المذهبية بين بعض الدول الإسلامية ، فعن طريق هذا التنسيق يتم وضع خريطة طويلة وأخرى قصيرة المدى للرد على ما يثيره أعداء الإسلام من مفتريات وأكاذيب بقصد تحويل الناس عن دينهم ؛ وبالتالى سلبهم قوتهم الذاتية المستمدة من هذا الدين .

هذه الخريطة ستغرق بين كيفية توصيل المعلومة إلى المسلم وإلى غير المسلم من الجهلاء بالدين أو الحاقدين الذين يكنون له أشد العداء ..

وهى - الخريطة - ستوحد الجهود بدلا من تشتتها وتجعلها تتجه إلى التعمق بدلا من السطحية ..

.. لقد كرم الله هؤلاء الذين يحملون كلمة الحق لإبلاغها إلى الناس وميّزهم وفضلهم ، فى قوله تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين ﴾

[فصلت/ الآية ٣٣]

وعلى هؤلاء الدعاة أن يكونوا على مستوى هذه المسئولية ..

* * *

احالات هامشية :

(١) أحمد أبوزيد ، « الاستشراق والتبشير » **مجلة المختار من « عالم الفكر »** ، العدد الأول (الكويت ، وزارة الاعلام : ١٩٨٤) ص٨٠ .

(٢) أنور الجندى ، **تاريخ الصحافة الإسلامية : المنار** ، الجزء الأول (القاهرة ، دار عطوة للطباعة : ١٩٨٣) ص١٦٦ .

(٣) عباس محمود العقاد ، **الإسلام فى القرن العشرين : حاضره ومستقبله** (بيروت ، المكتبة العصرية : ١٩٧٩) ص٣٤ .

(٤) توماس . و . ارنولد ، **الدعوة إلى الإسلام** ، ترجمة : حسن ابراهيم حسن وآخرون ، الطبعة الثالثة (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية : ١٩٧٠) ص١٧١ .

(٥) مصطفى محمد رمضان ، **العالم الإسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر** الجزء الأول (القاهرة ، مطبعة الجبلاوى : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص١٣ .

(٦) أ . ل شاتليه ، **الغارة على العالم الإسلامى** ، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافى ، الطبعة الرابعة (القاهرة ، المطبعة السلفية : ١٣٩٨هـ) ص٨ .

(٧) مصطفى محمد رمضان ، **مرجع سابق** ، ص١١٩ .

(٨) ادوارد سعيد ، **الاستشراق** ، مرجع سابق ، ص٤٧ .

(٩) زكريا هاشم زكريا ، **المستشرقون والإسلام** ، سلسلة لجنة التعريف بالإسلام ، الكتاب العشرون (القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) ص١٦٧ .

(١٠) مرعى مدكور ، **الإعلام الإسلامى الطباعى** ، مرجع سابق ، ص١٥٩ .

(١١) شاخت وبوزورث ، **تراث الإسلام** ، الجزء الأول ، ترجمة محمد زهير السمهورى ، سلسلة : عالم المعرفة ، العدد ٨ (الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب : شعبان ١٣٩٨هـ / أغسطس ١٩٧٨) ص٦١ .

(١٢) ادوارد سعيد ، **تغطية الإسلام** ، مرجع سابق ، ص٣٦ .

(١٣) عبدالمعطى محمد بيومى ، وأحمد عبدالحميد الشاعر ، **الإسلام والتيارات المعاصرة** ، الطبعة الأولى (القاهرة ، دار الطباعة المحمدية : ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ص١٤١ .

(١٤) رشا محمود الصباح ، « التصورات الأوروبية للإسلام فى العصور الوسطى » ، مجلة : عالم الفكر ، المجلد الحادى عشر ، العدد الثالث (الكويت ، وزارة الاعلام : اكتوبر/ نوفمبر/ ديسمبر ١٩٨٠) ص ٩٠ .

(١٥) محمد حسين هيكل ، **حياة محمد** ، الطبعة السادسة عشرة ، (القاهرة ، دار المعارف : ١٩٨١) ص٢٩ .

(*) الثيوزوفية ، مذهب استنبطته الأمريكية بلافاتسكى من فلسفات الهند واطلقت عليه دين الحكمة ، واسست له جمعية ترأستها واسست لها فروعا فى دول متعددة فى اوروبا ، وتدعو الجمعية الى التطهر والفصل بين الروح وبين التأثر بماديات الحياة ، ونبذ فوارق الجنس واللغة وكل مايعوق الاخاء الانسانى .

(١٦) أ . ل شاتليه ، **مرجع سابق** ، ص ١٩ .

(١٧) محمد الغزالى ، **مع الله : دراسات فى الدعوة والدعاة** : الطبعة الرابعة (القاهرة ، دار الكتب الحديثة : ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦) ، ص١٨ .

(١٨) مصطفى عبدالواحد ، **الإيمان فى القرآن الكريم** ، الطبعة الأولى (القاهرة ، دار الصحوة : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) ص٢٢٥ .

(١٩) محمد توفيق حسين ، « الإسلام فى الكتابات الغربية » ، **مجلة : المختار من : عالم الفكر** ، العدد الأول ، مرجع سابق ، ص٢٤ .

(٢٠) مرعى مدكور ، **الإعلام الإسلامى الطباعى** ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .

(٢١) الحسانى حسن عبدالله ، « تلك هى المسألة » ، **مجلة الثقافة** ، العدد التاسع (القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب : يونية ١٩٧٤) ص ٤٩ .. وانظر :

محمود عثمان ، **الفكر المادى الحديث وموقف الإسلام منه** (القاهرة ، مكتبة الانجلو : ١٩٧٧) ص ٢٨ .

(٢٢) مصطفى محمد رمضان ، **مرجع سابق** ، ص١٣٦ .

(٢٣) ا. ل شاتليه ، **مرجع سابق** ، ص ٣٠ .

(٢٤) **صحيفة « الجمهورية » المصرية** ، ٢٧ يونيو ١٩٨٥ ، ص ٤ .

(٢٥) عائشة عبدالرحمن ، **الإسرائيليات فى الغزو الفكرى** (القاهرة معهد البحوث والدراسات العربية : ١٩٧٥) ص ١٥٤ .

(٢٦) **صحيفة « الجمهورية » المصرية** ، ٢٧ يونيو ١٩٨٥ .

(٧) فيصل السماك ، رد على نظرية الصليبى : التوراة ليست من الجزيرة العربية » ، **صحيفة (الشرق الأوسط**) أول يناير ١٩٨٥ ، ص ٦ و : حمد الجاسر ، « الصليبى لم يفرق بين اسماء المواضع وافخاذ العشائر » ، **صحيفة (الشرق الأوسط**) ٢٢ يناير ١٩٨٥ ، ص ٦ .

(٢٨) ادوارد سعيد ، **الاستشراق** ، مرجع سابق ، ص١٠٨ .

(٢٩) مصطفى محمد رمضان ، **مرجع سابق** ، ص ١٣٧ .

و : على الدين هلال ، **التجديد فى الفكر السياسى المصرى الحديث** (القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية : ١٩٨٥) ص٧١ .

(٣٠) **جريدة (الأزهر**) ، اكتوبر ١٨٨٩ ، ص ٦٥ .. وانظر :

عاطف زهران ، « جريدة الأزهر » أو« مجلة الأزهر » ، مجلة الأزهر ، السنة السادسة والخمسون ، شعبان ١٤٠٤هـ ٪ مايو ١٩٨٤م ، ص ١٢٧٨ .

(٣١) جهاد فاضل ، « الزبد يذهب هباء وماينفع الناس يبقى فى الأرض » **مجلة « الشراع » اللبنانية** ، العدد : ٧٠ ، ١٨ تموز ١٩٨٣ ، ص ٥٦ .

(٣٢) على الدين هلال ، **مرجع سابق** ، ص١١٢ .

(٣٣) عبدالعظيم المطعنى ، **الإسلام فى مواجهة الايديولوجيات المعاصرة** الطبعة الأولى (القاهرة ، مكتبة وهبة : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧) ، ص ١٦٣ .

(٣٤) محمد عمارة ، « د. محمد حسين هيكل وعودته الجريئة إلى الإسلام » **صحيفة (الشعب) المصرية** ، ٣ ديسمبر ١٩٨٥ ، ص ٧ .

(٣٥) يوسف القرضاوى ، **الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف** ، كتاب الأمة ، العدد الثانى ، الطبعة الأولى (قطر ، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية : شوال ١٤٠٢ هـ) ص٤٨ .

(٣٦) شاخت ويوزورث ، مرجع سباق ، ص ٤٥ .

و : محمد عصفور ، « صورة الإسلام والمسلمين فى الأدب الغربى حتى القرن الثامن عشر » ، **مجلة المختار من عالم الفكر** ، العدد الأول ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .

(٣٧) أشلى مونتاغو ، **البدائية** ، ترجمة : محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٥٣ (الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب : رجب / شعبان ١٤٠٢هـ - مايو (آيار) ١٩٨٢) ، ص ٢٨٢ .

(٣٨) Lawrance, **Revolt in the Desert** (New York, George H.Doran Company: 1926) pp. 5-68.

(٣٩) محمد عنانى ، « القيم وعالم اليوم » **صحيفة (الأهرام) المصرية** ، ٦ نوفمبر ١٩٨٦ .

(٤٠) نيقوس كازانتزاكيس ، **المسيح يصلب من جديد** ، ترجمة شوق جلال ، الطبعة الثانية (القاهرة ، دار المستقبل العربى : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) .

(٤١) **المرجع السابق** ، ص١١

(٤٢) **المرجع السابق** ، ص١٤

(٤٣) **المرجع السابق** ، ص٢٤٦

(٤٤) **المرجع السابق** ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١

(٤٥) كازانتزاكيس ، **الحرية والموت** ، ترجمة سعد زغلول نصار ، سلسلة (الينابيع) ، العدد الأول (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٧٦) .

(٤٦) **المرجع السابق** ، ص٢٠

(٤٧) **المرجع السابق** ، ص٦

(٤٨) **المرجع السابق** ، ص ٢٨٥

(٤٩) Mongo Beti, **Poor Christ of Bomba, 4th** Ed, (London: 1981).

(٥٠) هنرى شارير ، **الفراشة** ، ترجمة تيسير عزاوى (لبنان ، دار التنوير) .

(٥١) **المرجع السابق** : ص ٣٧ .

(٥٢) المرجع السابق ، ص ١٩٥

(٥٣) نادية سالم ، **صورة العرب والاسرائيليين فى الولايات المتحدة الأمريكية**

(القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية : ١٩٧٨) ص١٨٣ .

(٥٤) محمد سيد محمد ، **المسئولية الإعلامية فى الإسلام** ، ط١ (القاهرة الرياض ، مكتبة الخانجى ، دار الرفاعى : ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ص ١٧

(٥٥) Melvin L. De Fleur, Everette E. Dennis, **Understanding Mass Communication** (U.S.A., Houghton Mifflin Company: 1981). p.8.

(٥٦) G. Cherter, G.R. Garrison, E.E. Willis, **Television and radio,** 5th ed. (U.S.A., Printice - Hall, 1978.) P. 134.

خاتمـــة

عندما اختار الله الإسلام للبشرية دينا ، فإن هذا الدين القويم قد نظم علاقة الإنسان بربه وعلاقته بمجتمعه كذلك ، فالإسلام دين ودنيا وليس - فقط - مجموعة عبادات تتمثل فى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت - عند الاستطاعة - بل ينظم أيضا أمور الحياة بالنسبة للفرد وللأمة على السواء .. فالإيمان الذى جاء به الإسلام هو شعور حى متدفق يملأ بالصفاء قلب المسلم ، فيفيض هذا القلب نقاء وروحانية واخلاصا لله تعالى وللعمل الصالح ..

الفهرس

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع
٨٨/٧٣٢٤

الترقيم الدولى
٩٧٧ - ١٤٣١ - ٥٣ - ٦

يتعرض عالمنا الإسلامى هذه الأيام لموجات متعددة من محاولات التشويه التى يشنها الغرب عبر وسائل اتصالية متعددة من صحافة (جرائد ومجلات) وإذاعات علنية وأخرى سرِّية ، وسينما ، وفيديو ، وأيضاً - وهذا هو الأخطر - عبر التوابع الصناعية للاتصال حيث أصبحت الثقافة الاليكترونية القادمة من فضاء لا حدود له هى حقيقتها ثقافة وحرية الدول التى تملك التكنولوجيا .. وأصبح هذا التدفق الإعلامى الموجَّه ، والذى يلاحق المسلم فى عقر داره ويتوسل إليه بلغته - وبلهجته المحلية عند الضرورة - أصبح يمثل خطراً كبيراً يجب التنبه له والوقوف فى وجهه بتقديم البديل القائم على الحجة والبرهان ..

فأمتنا الإسلامية ؛ التى كرّمها الله بهذا الدين الحنيف ؛ مطالبة بالإعلام عن الإسلام ونشره عن طريق « البلاغ المبين » الذى يعطى القوة والاستبسال وتحمل الصعاب كافة من أجل نشر الدين ..

فالأمة الإسلامية عندما تمتلك الصوت الاعلامى القادر على مخاطبة العالم فى صدق وأمانة لخير هذا العالم ؛ ستكون - إلأمة الإسلامية - قدرة وقتذاك على الإعلام عن دين لله وتوضيح موقف الإسلام من المواقف الحياتية كافة ، وفى الجانب الآخر ستدحض التشويه المتعمد لصورة المسلم والتى تشيعها الوسائل الاتصالية العالمية ، وتصحيح الصورة لتظهر كما رسمها الإسلام : عدل ؛ وصدق ؛ وأمانة ؛ ووفاء ؛ وإنسانية ؛ وفى الوقت ذاته قوة فى الحق ، حتى ترتفع راية « لا إله إلا الله ؛ محمداً رسول الله » .

فالكلمة فى الإسلام مسئولية كبرى ..

وعلى الله قصد السبيل ..